أن ترى الآن

منتصر القفاش

مدونة أبو عبدو

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

روايـة

دار شرقيات
للنشر والتوزيع

أن ترى الآن

منتصر القفاش

رواية

دار شرقيات
للنشر والتوزيع

أن ترى الآن

رواية

منتصر القفاش

© جميع حقوق النشر محفوظة لدار شرقيات ٢٠٠٢
الطبعة الأولى ٢٠٠٢

٥ ش محمد صدقي، هدى شعراوي
الرقم البريدي، ١١١١١ باب اللوق ، القاهرة
ت : ٣٩٠٢٩١٣ فاكس: ٣٩٣١٥٤٨

غلاف: عمر جيهان

رقم الإيداع ٢٠٠٢/٢٩٠٥٢
الترقيم الدولي ISBN: 977-283-104-x

أن ترى الآن

منتصر القفاش

ربما كانت البداية مع ازدياد نسيانه أسماء أصدقاء وأقارب وجيران، إلى حد أنه صار يحذر من ذكر اسم محدثه أثناء الحديث طال أو قصر، ويستبدل به «يا أخي، ياكابتن، يا أستاذ، يالورد، يا باشا». وإذا تذكر الاسم ينطقه في بطء خوفاً من أن يكون خطأ، وأحياناً يلفظه سريعاً وإذا لم يعترض صاحبه، يبطئ من إيقاع كلامه مرة أخرى ويكثر من ترديده وكأنه تعويض عن الفترة التي مرّت دون أن ينطق به. وبالطبع حينما يصحح له أحدٌ الاسم يعتذر متعللاً بكثرة مشاغل الحياة، وبضعف ذاكراته «باين الواحد بيعجِّز بسرعه» ويضحك ضحكة سريعة يكمل خلالها حديثه، لكنه يظل نادماً على تسرّعه بذكر الاسم وعلى قوله «بيعجّز بسرعه» ويشعر بأن بقية كلامه اعتذار طويل عن نسيانه.

وحينما كان يتذكر محادثة مع أحد، جلسة كان فيها كثيرون وتبادلوا حوارات عديدة، يجد نفسه غالباً ناسيا الكلمات المهمة التي قيلت، سبب دفاعه عن فيلم أو مسرحية، لماذا انتصر لشخص كان الجميع مختلفين معه، لماذا خرج من قسم المحاسبة في الفندق متضايقاً من زميل له. ما يتبقى

معه مجرد شعور مفرغ من التفاصيل، ويزداد ضيقه مع تذكره حماسه الذى يبدو أثناء الحدث شيئاً عميقاً داخله يفهمه، يستوعبه جيداً، لكنه يدرك بعد ذلك أنه حماس عود كبريت سرعان ما تأتى النار عليه وينطفئ. وصار مقتنعا بأن التفاصيل تأتيه كما تهوى، فى الوقت الذى تختاره، وتعيد إليه بعضا مما كان يشتاق إليه بعد أن تكون رغبته خمدت وذوت.

ما يفعله ينفصل عنه سريعاً، ليسلك مداره الخاص، ولا يرسل له سوى ضوء نجم بعيد يكاد أن يراه ولا يملك القدرة على تفحصه.

صفحة بيضاء ستكون نفسه لو استمر نسيانه واشتد، وعليه البدء فى كتابتها من جديد بطريقة جديدة. ورغم إعجابه بالفكرة إلا أنه تأكد من عدم قدرته على مواجهة صفحة بيضاء هى حياته، دون معرفة بما سيحدث فيها واثقاً فى نفس الوقت من أنه عاشها من قبل.

من شهر أو أكثر، أثناء وجوده فى عمله بمكتب المحاسبة، انتبه إلى أنه غير قادرٍ على تذكر ملامح زوجته سميرة فى سهولة، قد تتبدى له واضحة خطفاً لكنها سرعان ما تغيم فى ملامح أخرى متداخلة. حاول مع وجوه كثيرة فلم يقدر أن يقبض على ملامحها جيداً، شعر بخوف من أن يكون هذا من علامات شيخوخة مبكرة وهو لم يزل فى الخامسة والثلاثين، وتخيل نفسه فى لحظة مفاجئة لا يستطيع تذكر أى شىء إلا بمعاونة أحد يتبرع بمساعدته عطفاً وشفقة. بقوة قذف القلم على سطح مكتبه فعَلاَ فى الهواء حتى استقر على الأرض جوار الباب، بسرعة دخل الساعى سامى، تناول القلم ووضعه على المكتب.

- فى حاجة يا أستاذ إبراهيم؟

- لأ. (وهو يضحك) القلم طار منى.

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

يومها، بعد عودته إلى الشقة، فتح الدولاب ليضع ملابسه، تسمرتْ عيناه عندها: الكاميرا. اشترتها سميرة لينطلقا بها فى رحلات ورحلات كانا يحلمان بها قبل الزواج، كانت بها ومعه تريد أن ترى ما لم تره، وأكد هو على حلمها كما ينبغى لحبيب فاجأته حبيبته بهدية هى رمز لحياتهما القادمة، بل بالغ فى تقليبها بين كفيه، وأمعن فيها النظر مادحاً ماركتها رغم جهله بالماركات.

وجدها رابضة فى مواجهته كحالها كل يوم بعدستها البارزة أو بعينها الجاحظة.

حافظت سميرة على مكانها بالرف العلوى منذ شرائها، تتزحزح إلى الداخل أو تتقدم إلى الحافة لكنها لم تبرحه إلا لتصوير مناسبات عائلية أو عند الجيران. وغالبا ما كانت تذهب إليها بمفردها على وعد أن يلحق بها، ولا يذهب فهو لا يطيق مثل هذه الأشياء ويجيد التهرب منها.

تناول الكاميرا - يومها - والتفت إلى زوجته، والتقط لها عدة لقطات متتالية وهو يدور حولها، اندفع يصورها دون تفكير فيما يفعله، وداوم على هذا أيامًا عديدة، ورغم اندهاشها لكن أعجبتها اللعبة وصارت تسلم نفسها للكاميرا، وتتخذ أوضاعاً استغربها إبراهيم إلا أنه سعد بها، وأظهر لها كل الرضا بمباغتاتها: فَتْح روب الحمام عن آخره، نومها على بطنها عارية، خروجها إليه فجأة من غرفة النوم واضعة شمعداناً مشتعلة شموعه فوق رأسها وتصيح فيه: صوّرنى.

أحياناً كان يتضايق من صيحاتها، ورغب كثيراً فى أن يطلب منها أن تخفض صوتها لكنه خاف من كبح انطلاقها معه فى رغبته أو من شعورها بأن استغراقها فى اللعبة أكثر منه فتبدأ فى ضبط أفعالها على قدر ما يفعل وربما أقل.

همّ مرة أن يكتم فمها حينما أطلقت صيحتها لحظة فتحه باب الشقة عائدا من عمله. والتفت نحو السلم خوفا من ان يكون احد صاعدا وهى تكرر: ياللا، وكأنها تطلبه هو لا الكاميرا التى مدت يدها بها فأخذها وهو يبتسم ويغلق الباب بقدمه، ويرمى حقيبته على الأرض ويفكر فى أن يصيح فى وجهها: كفايه.

لم ينتبه من قبل أن فرحتها أو المبالغة فيها مرتبطة بعلو صوتها دون اهتمام بأن يسمع أحد من الجيران، وشعر بهذا الصوت وقد تم إضافته إليها أو خرج من الكاميرا.

صار يرى صورها بين أصدقاء وأقارب أقل جمالاً مما التقطه لها من صور دون أن تحذر فيها من شىء، ودون أن تفكر كيف ستبدو فى أعين الآخرين.

لم يقل لصاحب محل التصوير إنها زوجته، عرّفه أنها موديل يستخدمها لإعداد أعمال معرضه القادم، وابتسم صاحب المحل وهو يعطيه الصور معجباً بجمالها وغرابتها، وأشار إلى صورة روب الحمام المفتوح عن آخره وكرر: جميلة جداً. جمع إبراهيم سريعاً الصور التى نشرها الرجل أمامه حينما دخل زبون المحل، وقرر ألا يحضر له الفيلم الثانى.

علا صوت سميرة فرحاً وهى تشاهد الصور، وتعلق على كل منها مندهشة من الأوضاع التى اتخذتها، وتوقفت عند صورة روب الحمام مرددة «مش معقولة» وأخذت تقربها وتبعدها عن عينيها، وسألته عن رأيه «كلها حلوة» وابتسامة لا تفارق وجهه. اقترحت عليه أن يشتريا كاميرا للتصوير الفورى، وافقها لكن بعد أن تستقر الأمور فى عمله.

لم يعد هناك موضع محدد للكاميرا، وكلما احتاجها تلفت بعينيه

بحثا عنها فى أنحاء الشقة، وحينما فتح الدولاب مرة ظنا أن سميرة أعادتها إلى الرف العلوى لم يجدها. ورأى الرف امتلأ بالهدوم ولم يعد لها مكان عليه.

ألحت عليه سمراء فى إحضار الصور لرؤيتها، وتساءلت بينما تتأملها «معقولة دى سميرة». لم تكن صديقتها، ولم ترها سوى فى ليلة الفرح وفى صور الزفاف، بالإضافة إلى كلام إبراهيم عنها. سألها إذا كانت توافق على أن يصورها، فأجابته مباشرة:

- ليه. إنت بتنسانى؟

لم يكن جاداً وهو يسألها، وكان واثقا من أن ما فعله مع سميرة لن يتكرر مرة أخرى، ولن يرضى أن يكرره. وجد سؤاله وهو ينطق به مبتذلاً، ومفسداً لإحساسه بالصور التى أتاح لسمراء أن تسخر من بعضها، وتصف ثدى سميرة بأنه مترهل رغم أنها لم تنجب ولم ترضع. لا يستطيع أن يوقفها عند حد فى أى شىء بينهما، فلم تكن الحدود مطروحة فى علاقتهما، واقتنعا بأن راحتهما الحقيقية يجدانها فى وجودهما معاً، ويسعدان بتحقيقها بأى شكل ودون تردد.

فى يوم عثرت على واحدة منها، التقطها وهى نائمة، وشنب خُطَّ تحت أنفها. مَن فعل هذا؟ بالطبع ليس هو، وإن ضحك وسمراء تخط هذا الخط. ظل يكرر لها أنه زلة قلم، لم تقتنع، وانصرفت من أمامه بعد أن مزقتها ورمت قطعها على الأرض. من مكانه على الكرسى لمح الشنب المدبب الطرفين، وسرح فيه.

لا يعرف كيف نسى صورة الشنب فى جيب بذلته، ولم يسارع بإزالته، رفض طلب سمراء بتركها لديها، على أن تعطيه بدلاً منها بعد أن

تطبع نسخة لها. لم يقاوم طلبها الفيلم إلا أنه أصر على ألا تحتفظ بكل الصور، وسيحدد ما سيبقى معها

صارت سميرة تشكو من عدم قدرتها على التجول فى الشقة بحريتها فى وجوده، ولا على النوم لأنها تعرف أن عينيه ستحدقان فيها انتظاراً للحظة يقتنص فيها صورة لها، وشيء لا يطاق النوم تحت مراقبة عينى أحد وكأنهما يتأملان فأراً فى مصيدة. أكد لها توقفه عن التصوير، وكف عن السرحان فى وجهها بينما تحدثه، وعن تأملها عندما تعطيه ظهرها أثناء سيرها فى الشقة. والتحديق فيها وهى نائمة. اكتفى بالصور يخرجها بين حين وآخر ويروح فيها دون أن يشعر بمرور الوقت. وهل ساعدته على تذكر ملامحها فى سهولة؟ لم يعد يشغله هذا السؤال ولا السبب وراء عدم مللة من الفرجة على الصور، صارت أمنيته أن يكمل الفيلم الثانى إلا أنه احتمال بعيد منذ رؤيتها الشنب ومبالغتها فى الهدوء وعدم الاهتمام بالصور.

عاد مرة فوجدها قلبت البيت رأسا على عقب بحثا عن صورها. لم تجدها. سألته بصوت هادئ يتظاهر بالتعقل والاتزان:

- فين؟

فى درج مكتبه بالشغل. لماذا؟ لأنه يحب رؤيتها حينما يتضايق من العمل، وتظلم الدنيا فى عينيه كلما فكر فى مصيره بعد أن تنتهى أعمال التصفية. ومن رآها؟ لا أحد. ظلت تنظر إليه، وشعر أنها لا تريد أن تنقل عينيها عنه لعله يضيف شيئًا آخر أو يصوّب ما قاله. سألها عن الكاميرا، مع أختها ناهد. والفيلم الذى فيها؟ تركته ومضت.

كثرت زيارات ناهد لهما، واعتاد دخول شقته ليجدها هى من تعد الطعام وتقدمه له بنفسها فسميرة متعبة وأكلت قبل أن يأتى. بقدر ما

انطلقت معه فى اللعبة أطالت فترة غضبها، ولازمته صورتها وهى تقفز فى الهواء وشعرها انفرد متخذا شكل مروحة يد. وتمنى لو سمع مرة أخرى ضحكتها القوية وهى ترى تلك الصورة أول مرة. سأل ناهد عن الكاميرا، أشارت نحو سميرة ملمحة إلى أنها هى من تملك الإجابة.

حاول إقناعها بنسيان الشنب، والبدء من جديد.

- حتصورنى تانى؟

طمأنها على أنه لن يصورها، وإن ظل شوقه إلى معاودة تصويرها. وإلى أن تترك نفسها براحتها أمام الكاميرا.

فعلتها سمراء. أرسلت خطاباً ضم صور زوجته: بشنب، بعين واحدة والأخرى مطموسة، بجسد انتثر عليه - بقلم الحواجب - شعر غزير، بقدمين طالت أظافرهما، بنهدين تضخما حتى كادا أن يبتلعا الصورة والحلمتان كخرطومين طويلين.

لم تحدثه سميرةعن هذا الخطاب ظلت فقط تعاود سؤاله إذا كان أعطى صورها إلى أحد. لأ. بكل قوة وثبات.

استيقظ اليوم من النوم. وجد صور الخطاب فى خط مستقيم بطول السرير وهى تقف محدقة فيه. أسره هذا الطابور الطويل وراح فى الفرجة عليه ناسيا الواقفة أمامه. نعم سمع سؤالها.

- إيه رأيك؟

لكنه لم يكن قادراً على إجابتها، ولا على البدء فى حوار معروفة نتائجه، وفضل أن تظل عيناه اتجاه الصور بينما تخرج هى من الشقة.

- ٢ -

تـرك لسمراء رسـالة فـى الأنسـر. ثـم اتصل بأحمد، جرس ولا أحد يرد. بمفرده بين تلك الجدران. لا يشعر بسعادة ولا بحزن.

يحاول فهم ما حدث سواء منه أو من زوجته أو سمراء.

يجـد الآن شـقته، رغـم ضـيق مسـاحتها، مـثل بيـت جحا، الغرف الـثلاثة يـدور فـيها دون أن يعـرف متى دخل ومتى خرج. ولا يرغب فى أن يجلس.

السـير المسـتمر بـلا توقـف يريحه، ويتيح لجسده أن يكون فى وضع اسـتعداد. اسـتعداد لماذا؟ هكذا عادته فى الأوقات التى لا يعرف اتخاذ قرار فـيها، ويكـون أقـرب إلى «ريشـة فـى هـوا» الأغنـية التى يحبها، اندهشت سـميرة فـى أول زواجهمـا من تلك العادة، وشاركته مرة السير وهى تضحك وتـتأبط ذراعه لتخفف عنه حيرته التى طالت أكثر من نصف ساعة سيراً. ما يضـايقه أنه يسـتهلك كل هذه المسافات ولا يصل إلى قرار، وعرفت سميرة أنه لا يسـتطيع حسـم الأمـور فـى سـهولة، ويتخـبط طويـلاً بـين الاحـتمالات المطـروحة أمامـه. صـارحها بعـد الزواج بشهرين، أن الفندق سيتم تصفيته، فسـارعت بالتأكـيد عـلى أنهـا سـتقف جـواره مهمـا حدث، ولم يكن هذا ما يرغـب فـى سماعـه، أراد أن يخـبرها بحيرتـه بـين تصـديق وعـود أصحاب الفـندق له بتقلـيده منصـب المدير المالى فى مشروعهم القادم لو استمر معهم، وبـين أن يبحـث عـن مكـان آخـر، فهمت أن وجوده سيسـهل أعمال التصفية بخـبرته ومعرفـته بـالأمور الماليـة للفـندق بالإضافة إلى أن مرتبه أقل من أى

شخص آخر سيجلبونه لهذه المهمة. ظلا سائرين في الشقة صامتين يفكران وهما يتفاديان قطع الأثاث المتناثرة فى الشقة، ويبعدان عنهما ما يعوق حركتهما: الكرسى الهزاز، المنضدة الصغيرة، المروحة، وحاولت ألا تكون مصدر قلق له حيث أن اتجاهات الشقة لا تتحمل اثنين يسيران جوار بعضهما، فكانت تتأخر عنه قليلاً ليتقدم هو مأخوذاً بصمته. اقترحت عليه أن يظل فى الفندق ويبحث فى نفس الوقت عن مكان آخر، اقتراحها ظَنّته بسيطا ساذجاً لأنه أول ما يخطر فى بال أى واحد يواجه مثل هذه المشكلة، لكنها وجدته يتوقف وينظر إليها بجدية "انت شايفه كده" وأكد على صحة رأيها عائداً للسير مرة أخرى، بينما جلست هى دون أن تفهم السبب وراء استمرار لفه ودورانه، لم يقل لها إنه أثناء انشغاله بترجيح إحدى الاختيارات يجد الجلوس شللاً مؤقتاً يصيبه ويجمد تفكيره الذى سينطلق – حسب ما يأمل– مع تحركه الدائم، لم يكن الشلل يتوقف عند الإحساس به بل كان يراه قدراً سيصعقه لو كف عن السير، وينصرف بجلوسه عن التفكير فى المشكلة ليستغرق فى المشلول ورغبته فى أن يخطو حتى خطوة واحدة تعيد له القدرة على الفعل بنفسه دون معونة من أحد. أوقفه رنين التليفون أقسمت سمراء أنها لم تفعل هذا، ولم يشاهد الصور إلا صديق أو صديقان لكنهما لم يأخذا أية صورة. أنهى المكالمة على وعد باتصال آخر. أخرج صورة لسمراء. وتمنى لو كانت الصورة بالمقاس الطبيعى وهى واقفة وواضحة عيناها المتسعتان وصدرها الصغير وفى يدها أقلام الروج والحواجب التى استخدمتها فى تشويه صور زوجته.

نظر إلى ساعته، لم تزل أمامه ساعتان على موعده فى الشغل. تمنى لو أن الحائط الذى يفصل شقته عن الشقة المجاورة قد أزيل، وامتدت أمامه

مساحة أكبر لسيره المستمر. وافق والده على أن يعيد الشقة المجاورة إلى أولاد صاحب البيت، بعد أن بدأوا فور وفاة أبيهم فى مضايقه وإعلان تذمرهم من أن يحتفظ بشقتين جنب بعض. عاتبته أمه وقتها على عدم موافقته أن يزيد الإيجار جنيهين فى حياة الرجل لكى يفتح له الحائط الفاصل بين الشقتين، وكرر والده سبب رفضه بأنه اتفق معه وهما يكتبان العقد على أن يفتح الحائط، ولم يتفقا على أية زيادة فى الإيجار.

وهو يدور فى أنحاء الشقة وجد أنه لا يقترب من أى حل للمشكلة التى استيقظ ليجد نفسه فيها، بل يلف ويدور حولها كمن يبحث عن عنوان مكتوب فى ورقة بللها عرق كفه، دون أن يستطيع فك لغز الخط الردىء الذى كتب به العنوان.

توقف إبراهيم عن السير، وكاد أن يضحك مما يراه، ووضع يديه فى وسطه كمن يتحدى أحداً مقبلاً بتحفز عليه. الأشياء تبتعد عنه. ينظر إلى حائط غرفة نومه وهو فى الصالة، ويتجه نحوه فيجده يبتعد، تسرع خطواته فيزداد البعد، اتجه إلى كوب ماء. لم يصل إليه. أغمض عينيه وسار. اصطدم بكرسى، تجاوزه، وصل إلى السرير، جلس عليه، على صف الصور الممتد بطوله، نظر إلى ما حوله، الأشياء فى مكانها، لكنه سيعرف أنها ستبتعد عنه لو اتجه نحو أى منها. أيغمض عينيه ليصل أو يلمس أو يمسك بأى شىء فى هذه الشقة؟

اتصلت سمراء مرة أخرى، وأصرت على أن يلتقيا وضرورة إحضاره صور الخطاب. وافق على لقائها وهو يفكر فى أن يقول لها ما يحدث له الآن. وكيف وصلتَ إلى السماعة؟ لن يعرف كيف يجيبها، وإن كان الرنين

أيقظه، أعاد كل الأشياء إلى حالتها. أعادها إلى ثباتها، وأتاح له أن يصل إليها كالعادة. ربما يكون الرنين ضايقه أكثر مما قعلته سمراء بالصور، منعه من قطف ثمار سنوات طويلة من السير فى هذه الشقة.

ارتدى ملابسه فى بطء، وتحرك نحو الباب فى بطء، وأغلقه فى بطء، متمنياً لو استطاع عدم الخروج والبقاء فى هذه الشقة بكل ما فيها.

- ٣ -

طلبت من الجرسون أن يضم ترابيزة أخرى إلى التى يجلسان إليها. صفّت الصور التى معها فى صفٍ واحدٍ مقابل صور الخطاب.

نظرتْ إلى الصفين قليلاً.

- مش واخد بالك من حاجة؟

أوضحت له أن صور الخطاب تضم صورتين لم يسمح لها أن تحتفظ بهما.

- أكيد اديتها لحد تانى.

- ما فيش غيرك.

- إزاى؟ فهمنى.

وهى تحدثه، أراد أن يقاطعها، ويشرح لها بالتفصيل ما حدث فى الشقة قبل أن يأتيها، لكن هذه اللحظة غير مناسبة، سيبدو شخصا مصدوماً وآثار الصدمة تريه ما لا يُصدق.

وهو مقبل على المنضدة التى اختارتها، أبطأ خطواته لظنه أنه لن يصل إليها وستبتعد عنه بما عليها، إلا أن صوت سمراء «تعالى» دفع خطواته ليجد نفسه جالساً أمامها.

تمهل الجرسون وهو يرفع الأكواب من أمامها. نظرت إليه سمراء.

- إيه رأيك؟

جمع إبراهيم الصور كلها ووضعها فى جيبه؛ وبصوت خفيض قال:

- بعدين نكمّل.

- ٤ -

تـأكد إبراهـيم بمجـرد وصـوله إلى المكتب من أنه لن يقدر على العمل اليوم. تولى مكتب بهاء للمراجعة والمحاسبة أعمال تصفية الفندق.

وينسـى بهـاء أحـياناً أن إبراهـيم يعمـل لفترة مؤقتة، ويعامله كأنه أحـد موظفـيه بطريقـته الحـادة فى الكلام معه لو تأخر ساعة أو ساعتين عن موعد الحضور إلى المكتب. أو بإصراره أحياناً أن يكمل كشف حساب حتى لو ظل إلى منتصف الليل.

اشـتكى لأحـد مُـلاَّك الفـندق، فنصـحه بالصبر «فترة وتعدى». جملة أساسـية فـى حـياة إبراهيم، أخوه مجدى هو الذى دفعه إلى العمل فى مجال الفـندقة فـى وقـت لم يكـن قد حدد فيه ما الذى يجب عمله بعد نهاية فترة تجنـيده بالجـيش، لم يكـن تـردده وقتها نابعاً من رفضه العمل فى الفندق، لكـن لإحساسـه بـأن هـناك العديـد مـن فرص العمل ستأتيه، وما عليه سوى الانـتظار أو الـرفض المستمر حـتى يجد ما يناسبه. كان يجد ما يقولـه أخوه عـن قلـة العمـل فـى الـبلد كلامـا مكـررًا يقولـه أى أخ مستقر فى وظيفته من سـنوات وتقلصـت الأمـال أمامه فى السعى للترقية أو السفر إلى دولة عربية. ووافـق إبراهـيم تحـت شـعار «فـترة وتعـدى، وإذا لقيت شغلانه تانيه ابقى سـيب الفـندق» لكـن الفـترة طالت والسنوات مرّت. ها هو يشارك فى تصفية الفـندق، ويجـتهد أن تكـون حسـاباته «مظبوطة ع الشعرة» لا لشىء سوى أن يـنفض المولـد وتصبح تلك الأرض خلاء استعدادا لبناء آخر فى علم الغيب لا يعرف عنه غير وعدٍ بأنه سيكون مديره المالى.

ترك ورقة على مكتب بهاء، اعتذر فيها عن تكملة العمل اليوم نظراً لمرض زوجته وضرورة أن يكون جوارها

استغرب من توقيعه الذى رآه كبيراً أكثر من اللازم، لكنه تكاسل عن إعادة كتابة الاعتذار وكتب تاريخ اليوم بخط صغير.

- ٥ -

لم يجد فى الأنسر ماشين سوى رسالتين، واحدة من صديقه أحمد ظل يكرر فيها «فى حاجة؟»، ورسالة أخرى من بهاء يطلب منه الاتصال به سريعاً ليفهمه معنى الورقة التى تركها له ومكتوب فيها «جداً، جداً» فقط وأكبر توقيع رآه فى حياته. أعاد إبراهيم سماع الرسالة. ستكون ورقته نكتة يريها بهاء لمن يعملون فى المكتب، وربما استقبله أحدهم غداً بـ جداً، جداً بدلاً من صباح الخير. تذكر حينما أضاءت سميرة نور الحمام، ورأى وجهها مندهشاً وهى تسأله.

- إزاى بتحلق دقنك فى الضلمه؟

تلجلج قليلاً من المفاجأة، وفكر أن يقول لها إنه كان يرى وجهه بوضوح، إلا أنه أكمل الحلاقة مردداً «شطارة. مش أى حد». سألها بعد ذلك هل بالفعل كان النور مطفأ، فضمته إليها وتضايق من كلماتها الهامسة المواسية له، وتأكيدها على أنه كان شارد الذهن.

هل فَعَلَ أشياءً أخرى مشابهة ولم تنبهه إليها حتى لا تصدمه؟ هل رأت شغفه بتصويرها من ضمن هذه الأشياء، وشاركته دون سؤاله عن السبب حتى لا تدعه يشعر بغرابة ما يفعله؟

فكر فى أن هناك لحظات فى حياته عاشها دون أن يعرف عنها شيئا ومن يعلمونها يرونه من خلالها، ويضمرونها إشفاقا عليه أو لظنهم أنه واعٍ بها، وفى كلتا الحالتين هو غير موجود.

هـل أفعاله التى لا يعلمها نسبتها سميرة إلى قلقه من مستقبل عمله، وخوفه من أن يصبح بلا وظيفة. وصارت تخفيها عنه حتى لا تزيد من أعبائه، هل دفعتها تلك الأفعال إلى أن تسامحه حين لم يتذكر عيد ميلادها أو عيد زواجهما، ونسيانه الكثير مما اتفقا عليه وأوضحت له أهميته عندها؟

رأى أن ما لا يعرفه من أفعاله ساعدته دون أن يدرى، وجعلت سميرة تتحمله على مدار سنتين هما عمر زواجهما حتى أتتها تلك الصور ورأت من خلالها أن لعبتهما التى ظنت أنها تخصهما فقط يشارك فيها آخرون.

سمع رسالة بهاء مرة ثالثة. مسحها. واتصل بأحمد.

- ٦ -

- متأكد إنك ما بعتّش الصور؟

لم يجبه إبراهيم. وذهب إلى المطبخ ليصب الشاى.

- طب قوللى مين؟

شعر بالضيق من نفسه لهدوئه الغريب، ورشفه الشاى فى بطء وكأن أحمد لم يقل شيئاً. انتظر أن يتأسف له أو يقترح شخصاً آخر مداناً غيره، لكن أحمد استمر يؤكد «مافيش غيرك» دون أن ينتبه لصمت صديقه، وربما ظنه إثباتاً لكلامه ونجاحه فى الكشف عما يخفيه ويحاول إقناع الناس بغيره.

اكتفى إبراهيم بقول «جايز» بنفس إحساسه وهو يغير قناة التليفزيون مللا وضجراً. كان ينتظر منه شيئاً آخر، ليس بالضبط تحديد من الذى بعث الصور، لكن أن يظل يسمعه، وكلما توقف يحثه أحمد على الكلام والفضفضة. أليس صديقه الحميم، وعملا معاً فى الفندق سنوات قبل أن تضطره الإدارة لتقديم استقالته بعد أن اتبعت سياسة توفير العمالة. لاحظ أن حدة هجوم أحمد تزيد عليه، خاصة وهو يؤكد أن كل هذا ليس مرتبطاً فقط بالصور، وأن تصرفات إبراهيم كانت غريبة فى السنة الأخيرة من حياة الفندق.

- مستنى إيه، تيجى الوظيفة لغاية عندك. مكتب محاسبة إيه؟ شهر ولا شهرين وتلاقى نفسك عاطل. حتعمل إيه؟ حتشتغل مصوراتى؟

لم يقل له ما وعده به ملاّك الفندق. سميرة وسمراء الوحيدتان اللتان تعرفان، أى شخص آخر لن يصنع، ولن يرى فى الوعد سوى وسيلة للإبقاء عليه حتى ينتهوا تماماً من أمر الفندق، خاصة وأن زملاءه ومدير الحسابات والمدير المالى رحلوا واحداً بعد الآخر لفنادق وأعمال أخرى حينما ضعفت المكافآت والحوافز، وظلوا ينصحونه بعد ترقيته مديراً للحسابات أن يسارع بالرحيل ظناً منهم أنه لا ينتبه لانهيار الفندق.

فكر إبراهيم فى أن السبب وراء كل ما يقوله أحمد راجع لضيقه من عمله محاسباً فى بازار للبرديات والتحف الفرعونية بشارع الهرم، وشكواه من أنه غالباً ما ينقلب إلى بائع، وانتظاره الذى طال إلى أن تجيبه إحدى الفنادق التى بعث لها بـ «C.V.».

بدا وهو يصر بلا تردد أن الفاعل إبراهيم، أنه يتعجل الانتهاء من هذه المشكلة ليبدأ فى بث شكواه من أحواله وصعوبة الزواج . كرر الاتهام كثيرا حتى لا يجذبه إبراهيم إلى تفاصيل لا يريدها ولا يرغب فى الانشغال بها، مغلفاً اتهامه بثقته فى غفران سميرة له، فهو وخطيبته يريانها متسامحة لا تعرف إضمار غضبٍ على أحد. دفقات كلام أحمد التى تخللتها لحظات صمت دفعت إبراهيم إلى الاسترخاء، والتحديق فى الحائط الذى يواجهه. تضايق من عدم وجود صورة معلقة عليه لينشغل برؤيتها ونسيان صديقه. لا يتذكر السبب وراء عدم وجود أية صورة على حوائط الشقة سوى صورة زفافهما المعلقة فى غرفة النوم. الحوائط البيضاء رغم أنها تريح عينيه الآن إلا أنها تذكره سريعا بصمته الذى طال وكان آخر ما يتوقعه فى هذه الجلسة. سرح فى عدم إصغاء صديقه له، ولم يتذكر أن أحمد أصغى له مرة،

حينما اتصل به كان يبحث عن أحد آخر غير سمراء يستطيع الكلام معه، ولم يجد سواه وتخيل إصغاءه لما سيقوله امرا متوقعا وكانه يحدث دائما. وجد أحمد شخصا لا يصغى إلا لنفسه حينما يستشرف رد فعل خطيبته على ما فعله أو ما سيفعله.

يريد الآن إصغاء ليس صبورا فقط بل ومعينا على البحث عما يريد قوله، ويفتش معه فى دقة عما يخفى عنه، ويتوقف عند التفاصيل ويقلبها على مختلف الأوجه ويتفهم عدم قدرته على تحديد مشاعره والطريقة التى يجب أن يسلكها لمواجهة ما حدث.

كلما نظر إلى وجه أحمد وجد أن الإصغاء الذى يبحث عنه نادرٌ، ويتأكد من ندرته مع تذكره إصغاءه هو شخصيا الذى يكتفى فيه بمتابعة ما يقال وهز رأسه والاستفسار عن كلمة لم يسمعها، وفى النهاية يقول جملة جملتين ليثبت حسن إصغائه ويبدد الشك فى شروده، هكذا كان يستمع لأحمد وهو يحكى له مشكلاته، ووجد صديقه يرد له صنيعه ويسير على نفس الطريق.

- طب أنا أعمل كده ليه؟
- إنت كده .. غريب.

ماذا سيحدث لأحمد لو امتدت يده لتناول كوب الشاى ووجده يبتعد عنه، تخيله إبراهيم وهو يزحزح جسده لحافة الكرسى حتى يكاد أن يقع، يعود إلى جلسته كما كان منشغلاً بالهجوم على إبراهيم، وتاركاً الكوب للحظة أخرى، أو يقف ويدور حوله مواصلاً الكلام بينما يحاول تحديد الزاوية التى يستطيع منها أن يقبض عليه. لن يفكر فى أن يغمض عينيه

ويتوجه إليه بقرون استشعار يولدها فى نفسه ويرهفها لحد أن يصل إلى النشاى. وربما قال «مس عايز شاى»

– اتصل بسميرة، دوّر على شغل. صلح الأمور بسرعة. ما تفرجنى على الصور؟

– حرقتها.

– هوه ده الكلام.

– ٧ –

ما إن خرج أحمد حتى دخل البلكونة، وبدا فى اندفاعه نحوها كأنه يختبئ عن صديقه كما لو كان سيعود فى أية لحظة. من تلك البلكونة المطلة على شارع جانبى يستطيع رؤية جزء من كوبرى الدقى الذى يبدو معلقا على العمارتين الموجودتين على جانبى الشارع. لمح العربات تمرق وتختفى عن عينيه فى وهلة، يعرف أن الكثير من شرفات العمارات المواجهة للكوبرى وضعت ستائر حول سورها أو سيجته بالألومتيال، بعد أن صارت مكشوفة لراكبى السيارات الذين يستطيعون رغم سرعة مروروهم رؤية عمق هذه الشقق إذا كانت مفتحة، ولو تعطلت سيارة فسيكون فى استطاعة صاحبها أثناء تصليحها أو انتظاره عربة أخرى تقطرها، التجول بعينيه فى مساحات واسعة من الشقة التى تواجهه. فى كل مرة ركب فيها إبراهيم الميكروباص الذاهب للتحرير أو رمسيس كان يشعر بسعادة لو جلس جوار الشباك المطل على تلك العمارات، ويجد نفسه يحاول اقتناص ما يمكن رؤيته بسرعة، وقد يستدير برأسه للوراء ليتابع ما اصطادته عيناه،ويتشبث أطول فترة ممكنة بصيده لو لمح أحد ساكنى هذه الشقق فى وضع أو ملابس تنم عن نسيانه أو تناسيه الكوبرى والعابرين فوقه، ويراه كمن يريد استعادة شقته كما كانت من قبل.

عاد أحمد مرة أخرى ووقف أسفل العمارة وصاح « C.V . C.V.» أنزله إبراهيم له فى السَّبَتْ، وصاح مرة أخرى قبل أن يمضى

– أصل ده الأصل اللى باصور منه. ما تنساش تتصل.

أخرج صور الخطاب، والصور الأصلية.

رتبها فوق سجادة الصالة. حاول منذ مغادرة سميرة البيت ألا يفعل هذا. لكنه اليوم. استيقظ من النوم مبكراً، فقرر إخراجها من درج مكتبه. لم يعد يخفيها أو يتأملها سراً بعيداً عن عيني زوجته. ها هي أمامه في قلب الشقة، وهو جالس على الكرسي يتأملها.

تذكر لعبة كان يفتش عنها وهو صغير في أية مجلة تقع بين يديه، وتتطلب دقة في ملاحظة صورة رُسمت فيها أشكال مختلفة: أغصان شجرة متداخلة، أجساد متلاحمة، بيوت متراصة وراء بعضها تناثرت بينها فراغات، وعليه البحث عن شكل محدد في السؤال المعتاد: أين القطة، والعربة، السمكة.. وتظل عيناه تتفحصان الصورة حتى تعثرا على الشكل فيما كونته الظلال، أو تمدد بين الفراغات أو في خطوط توزعت على أكثر من جسد. وأحيانا تكون اللعبة صعبة، وتم إخفاء الحل بمهارة، ويظل يدقق في كل جزء ويحدق فيه كأنه هو الشكل المطلوب ثم ينتقل إلى جزء آخر وهكذا حتى تصير كل الأجزاء في عينيه تشبه ما يبحث عنه، ويزداد شبهها به كلما طالت فترة التحديق وشك في قدرته على العثور عليه، وكأن اللعبة أن يرى كل شيء مثل الشكل المختفي، وأن تصير كلها الحل المطلوب. وفجأة يتبدى له واضحا ما يريده، وترتد أجزاء الصورة إلى طبيعتها، ويظل ما عثر عليه مركز رؤيته، ويشغله كيف مرّ عليه في البداية دون التوقف عنده رغم وضوحه الذي صار عليه بعد ذلك.

تناول صورة، حددت فيها ملامح الوجه بقلم حواجب أسود. غريبة هى بين تلك الصور. لم يتم تشويهها. فقط خطوط سوداء عريضة تظهر العين، الفم، الأنف. الأذنين. كانت نائمة على ظهرها وانحسر قميص نومها عن ساقيها، وذراعاها معقودتان فوق رأسها. هذا الوضع هو المفضل عند سميرة. النوم على جنبها يسبب لها ضيقاً فى التنفس يوقظها مباشرة من النوم. وأضافت بالطبع تصويره لها وهى نائمة كسبب آخر لإيقاظها من أحلى نوم.

الخطوط السوداء أكسبت وجهها شكل... ليس فقط وجوه مهرجى السيرك الذين يبالغون فى وضع المكياج على وجوههم. لا. هناك شكل آخر، أيكون حينما بكت بعد علمها بأنها السبب فى عدم الإنجاب. أسالت دموعها الآيلينر والآى شادو. وهو يؤكد لها بأن هذا ليس نهاية الدنيا، وأنه غير حزين.

فى الحقيقة كان لا يحب كثيراً الأطفال، خاصة حينما يستيقظون ليلاً ببكائهم الذى لا ينتهى وكأنهم يظنون أنفسهم فى الصباح بصخبه. أقنع نفسه بنسيان زوجته للموضوع، خاصة وهى تمتلك قدرة التكيف مع الظروف مهما كانت صعبة.

تكدر مزاجه حينما وجد تلك الصورة بخطوطها السوداء العريضة تقوده إلى تلك الذكريات. أليس من الطبيعى أن يمزقها، كما فعلت سميرة مع الشنب، ولماذا لم تلح فى معرفة من خطّه، لماذا لم تغضب وتصيح وتصرخ وتشتم، تعاملت مع الأمر كمن يرمى كلينكس فى القمامة، أسئلة مرت فى باله مروراً عابراً وسريعاً كسرعة توقيعه فى دفتر الحضور بالفندق قبل أن يدخل ويبدأ عمله.

صورة أخرى، كانت فيها تغسل وجهها. وخطوط حمراء أظهرت مؤخرتها مرسومة عليها عينان متسعتان مذعورتان، وأخرى فى المطبخ اشتعلت فيها النيران ووصلت إلى عنقها، وقرنان يظهران من رأسها وضحكة أظهرت أنياباً حادة. قرب لعينيه صورة، جالسة على كرسى أمام التليفزيون، وابتسامة أنارت وجهها وخطان عريضان متوازيان مع ساقيها المنفرجتين عن آخرهما. فكر فى أن نجاحه فى التقاط صور مفاجئة لسميرة وهى مسترخية، ألهم صاحب هذا الخطاب كل ما خطه من خطوط، أبرزت ما لم تهتم سميرة بإخفائه. الخطوط مع كثرتها وحدّتها أحيانا فى التشويه، رآها ساذجة، طفولية، لم تتماد فى لعبتها للنهاية، توقفت فقط عند حد الفرح بانطلاقها، ومع تدقيقه فيها وجد أنها مثل شخص سمع عنه من كثيرين وكون تصورا عنه، تخيله، وما لبث أن تهاوى خياله مع رؤيته للشخص وأنه أقل كثيراً مما كونه عنه فى غيابه، وربما عامله بحدة لا لسبب سوى أنه أحبط خياله وشوه الصورة التى استقرت داخله قبل أن يراه. ضايقه شعوره بأنه يتواطأ مع الفاعل. فهو لا يفكر جدياً فى محاولة الكشف عنه، ولا ينشغل كما ينبغى فى البحث عنه. مال إلى ثقته فى رجوع سميرة إلى البيت بعد أن يهدأ غضبها وتنسى الموضوع.

دقق فى حواف الصور المتناثرة أمامه. ألا يوجد أى أثر غفل عنه مرسل الخطاب. نظر إلى ظهر الصورة التى فى يده. لم تطمئن عيناه إلى البياض. رفعها إلى أعلى ناحية الضوء، تخيل نفسه وذراعه ممدودة بها، كمن يبحث عن العلامة المائية فى عملة ورقية. ظل رافعاً الصورة إلى أعلى، حاجبة عنه ضوء المصباح. وشفت عن الخطوط المتداخلة أكثر من الصورة نفسها. رأى نفسه نائما وتغطيه الصور بحيث من يتوقفون جواره ينشغلون

برؤيتها أكثر من البحث عنه أسفلها. ويستمتع هو بسماع ما سيقولونه من تعليقات لن يقدروا على التفوه بها فى وجوده، وقد ياخذ كل منهم واحدة ويتركونه دون أن ينتبهوا لوجوده أو يظنوه مجرد بقعة أرض غير مستوية.

لماذا يشعر بالتواطؤ؟ أليست هى سمراء وستصارحه فى الوقت الذى تراه مناسباً وبعد أن تأخذ كفايتها. لا يظن من يرى سمراء أول مرة بأنها تمتلك كل هذه القوة للتدمير. حكت له كثيراً عن علاقات لها مع آخرين، ظنوا بأنهم أرضوها إلى حد من المستحيل معه أنها تتخلى عنهم، ثم تبدأ فى السخرية منهم، والضحك على كل ما فعلوه خاصة أثناء نومهم معها، وفجأة تختفى من حياتهم تماماً. السبب فى هذا؟ لا تعرف سبباً محدداً، لكن هكذا وجدت نفسها أو بمعنى أدق تشعر كلما تمادت فى السخرية من رجالها بفرح وسعادة ونشوة لا تجدها فى أى شىء آخر. أما عنه هو إبراهيم

– ما اعرفش . فيك حاجة منى.

دائما تزعجه إجاباتها تلك، يجدها محاولة منها لتمنح أمراً ما حكمة ليست له، وتقولها فجأة مقتضبة سريعة كما ينبغى للحكم أن تقال، لكن مع خفة تشعره بأن ما يسمعه ضل طريقه وذهب إليها خطأ.

تعرفا فى الجامعة، لكن شكل علاقتهما غير المقيد بأى التزام تشكل بعد تخرجهما، واستمر حتى أثناء زواجها السريع الذى استمر سنة واحدة فقط، ثم طلبت الطلاق وبررته بإحدى حكمها «ما اعرفش أكون زوجة»، لم يمارس أهلها أو بمعنى أدق أمها ضغطاً حقيقياً عليها، فرحتها الدائمة بابنتها مذيعة التليفزيون تخفف من حدة غضبها عليها أو مطالبتها بالزواج.

ما بينهما يكتسب صلابته من استمرارها هى فى التأكيد على جمال ما يجمعهما، وأهمية وجوده فى حياتهما، وفى نفس الوقت عرف أن القادرة على إطالة عمر العلاقة قادرة على أن توقفها وتنزع عنها كل أسباب البقاء. أحيانا يرى استمراره هو رغبة فى معرفة إلى أى مدى ستستمر معه، وكلما حدثته عن علاقة أخرى أنهتها، انتباته سعادة فى أنه مازال الأطول عمراً، كأنه علاقته معها دَفْنٌ للآخرين على مرأى ومسمع منه.

ربما أخفت الصورتين اللتين ادعت أنهما ليستا بحوزتها واثقة من أنه لن يتذكر. لم تكن أول مرة تطلب منه الاحتفاظ بشىء يخصه. طلبت منه من قبل الاحتفاظ بمحفظته حينما زارها فى شقتها التى استأجرتها دون علم أمها، وكان متضايقاً من كثرة الأقساط التى عليه. دخلت غرفتها وأتت بمائة جنيه. وضعتها فى جيبه. أخرج منها ورقة بعشرة وكتب ساعة وتاريخ اليوم والسنة. سألته أن كان سيحتفظ بها تذكاراً. ابتسم وقال إنه لم يجد شيئاً يذهب ضيقه وحرجه سوى هذا، ووضع المبلغ فى محفظته الجلدية.

- المحفظة تقلت أوى. لازم أخففها شويه.
- دايماً تقول كده. وبعدين تسيبها زى ما هى
- تفتكرى اتخلص من إيه؟
- من صورتى مثلاً. من الدولار اللى عطيتهولك الأمريكية بعد ما باستك فى الريسبشن قبل ما تمشى. من صورتك فى الجيش.
- من كل ده.
- ولسه ... الكليـنكس اللى كتبت عليه النزيلة الهندية ولا الهولندية ولا الصينية كلمتين حب.

ظلت تعدد له ما يجب أن يتخلص منه حتى كادت أن تنصحه بإلقاء المحفظة كلها من الشباك. صحيح كان يبتسم أثناء كلامها، لكن ابتسامة المضطر الذى لا يجد كلاماً أو دفاعاً يدافع عن نفسه أمام قائمة الاتهامات المتهم بها.

أخرجت بطاقته الشخصية وصورة زوجته، وأصرت على الاحتفاظ بكل المحفظة التى كانت هدية من سميرة. ماذا سيقول لها.

- أى حاجة. اتنشلت. ما تعرفش نسيتها فين.

لم يرفض. شكرها على إعطائها له البطاقة والصورة.

- ممكن أخدهم منك بعدين.

هى أيضاً كانت لا ترفض. بعد أن صارحها برغبته فى أن يكونا صديقين فقط.

- أمال إحنا إيه؟ بس مستغربة من اللى انت بتقوله.

كان هو يستغرب نفسه أيضاً، لكن شعر وقتها برغبة فى أن يقول لها هذا، أن يسمع نفسه وهو ينطق به وربما لأنه «ماخدش باله وهو بيقولها» «طلعت كده» كما كانت تقول سمراء فى مواقف كثيرة.

وبعد مرور أسبوع واحد. أشار إلى غرفة نومها. شدته من يده نحوها دون أن تذكره بقراره.

أعطته ميدالية المفاتيح التى تلازمه فى كل مكان يذهب إليه، موصولا بها كتاب صغير مذهب، تنبعث منه موسيقى كلما فتحه عن آخره. وضع فيه صورة لسميرة كانت تحبها بعد أن قص الرقبة وأعلى الصدر واحتفظ بالوجه فقط.

رغم حرصه على الميدالية، إلا أنه كان يراها دائما مثل الحِكم التي ينطق بها سمراء احيانا. حكم في غير مكانها وصادرة عن الشخص الخطأ.

لكن ألم تكن وهي تؤكد براءتها، صادقة بالفعل، ولم تخدعه؟ ألم تكن تستطيع إفساد حياته مع سميرة من قبل، بامتلاكها أشياء كثيرة أهدتها له زوجته وأصرت على أن تحتفظ بها؟

سرح في أسماء أخرى بكسل، لعله يجد متهماً مناسباً. يوجه ناحيته كل غضبه ويحاول إرغامه على الاعتراف لتنتهي الحكاية، ولم يجد سوى سمراء وتراوحه بين تصديقها وتكذيبها.

— ٩ —

لم يتوقع أن يوماً سيأتى ستصير فيه ناهد هى وسيلته الوحيدة لمعرفة أخبار سميرة، وسيحاول أن يوطد صداقته معها، بدلاً من البرود الذى كان يشوب لقاءاتهما التى كانت لا تستغرق سوى دقائق يدخل بعدها لينام أو ليكمل عمله. قالت له سميرة إن ناهد تراه لايحب الناس ولا يعرف كيف يستقبل ضيوفه، وكان بدون اهتمام يدافع عن نفسه فى كلمتين، على وعدٍ أنه سيحسن استقبالها المرة القادمة. ها هو الآن مضطر لإظهار كل الودِّ لها، لكن صوتها فى التليفون يكشف عن حيرتها وعدم معرفتها ماذا تقول له، ويثق فى أن سميرة تقف جوارها تشير إليها بأصابعها أو تهمس بكلمات لتنقلها إليه.

فى أول مكالمة بينهما بعد ذهاب سميرة لتعيش معها، سألته عمن بعث الصور، نفى معرفته به، وأكد أنه لا يفهم ماذا حدث وسيظل يبحث حتى يعرف. إجابات قالها بدون تردد حريصاً على أن تنقل نبرات صوته كل الغضب على مرسل الخطاب المجهول ومشاركته سميرة فى ثورتها، كرر نفس الإجابات حينما سألته عمن يتخيله أو يظنه أنه بعثها، وأنهت مكالمتها معه بصوت كله شك فيما يقوله وسمع صوت ضحكة هستيرية من سميرة ذكّرته بصيحتها المطالبة بأن يصورها، نفس القوة، والمبالغة، وعدم الاهتمام بأن يسمعها أحد، ضحكة تختصر كل ما تريد قوله له.

هل يخترع لهما حكاية ويتقن روايتها، وما هى هذه

الحكايـة؟ ومن بطلها؟ صاحب محل التصدير، أحمد، صديقه بناصيه العـداء. كـلهم لا يصـلحون ولا يقـنعون أحدا بأى شيء، بالإضافة إلى أنـه لا يعـرف فـى نفسـه القدرة على اختراع حكاية وإجادة روايتها وعدم ترك ثغرة ممكن أن يتسلل إليها الشك، كل مبرارته التى قالها لسـميره عـندما فعـل شيئاً أو لم يفعـل، كان يقولها باختصار كيفما خطـرت له، وضـمنيا كانـت تقبلها لأنـه قليل الكلام وعلامات التعب من شغله بادية عليه دائما.

يفكـر الآن فـيما كان سيحدث لو استبدل كل تبرير على مدار زواجهـمـا، بحكايـة محكمـة، تتطور من خلالها مقدرتـه على تلفيق الحكايـات، وتـراكم داخلـه العديد من المهارات التى كانت ستسعفه فـى تلـك الحكايـة الأخيرة التى فُرضت عليه، كان يستطيع أن يقول لهـا: فاكـرة لما حكيـت لـك عن فلان، أو، يوم مارحت عشان أزور، أو... أو... لم تدفعه ثقتها فيه إلى الحكايات، الحكاية الوحيدة ولم تكن هكذا تماماً، هى المبالغة فى تفاصيل انـهيار الفندق واضطراره أن يـتأخر ليـنجز الأعمـال المتراكمـة الـتى صارت على عاتقه فقط، لكن حـتى هـذه المـبالغة صارت حقيقة ولم تـعد حكاية، فنقلها إلى مكتب المحاسبة وبالغ فى تفاصيل التصفية التى لا تنتـهى، وتمثلت سـميرة تماماً ما يعانيه من مشكلات وراحت تحاول أن تخفف عنه ولم تثقل علـيه بالاستفسـار عـن أسـباب تـأخيره. كـان يـلجأ للمـبالغات فـى الانهـيار أو التفاصـيل حيـنما تتصل به سـمراء فجأة فى الفندق وبعد ذلـك فى مكتب بهاء وتلح على لقائه، يتردد قليلاً فى الموافقة خاصة لـو كـان وعد سميرة بالعودة مبكراً أو اتفق معها على الخروج، لكنه مـا إن ينـتهى مـن المكالمـة حـتى يتصل بسميرة ليأتيه صوتها متوقعاً

هل يعترف لها بما تجهله عن سمراء؟ لا يقدر ولا يملك أن يفتح باباً موصداً لا يعلم ما سيجلبه له من متاعب، بالإضافة إلى أنه مازال واثقاً في أنها ستغفر له، وستنسى ويعودان كما كانا، وتهتز هذه الثقة كلما تأمل الصور والخطوط التي تعبث بجسدها. لم يقاوم رغبته في سماع رأي ناهد في الصور، لم يسألها مباشرة، بل حسب طريقته حين يتذكر اسم شخص لا يكون متأكداً منه، أخفض صوته فجأة وكأنه يحدّث نفسه «معقول شخبطة تعمل فيها كده» صمتّ في انتظار أي رد منها، أو غضب بالنيابة عن أختها، لكنها لم تعلق على كلامه، وتمنى لو كانت أمامه ليرى ملامح وجهها بدلاً من هذه السماعة التي صار يراها في تلك الأيام ذراعاً مبتورة تحاول العودة إلى صاحبها.

فكر في ألا يتصل بها، وليدع الأيام تمر حتى ترضى سميرة وتعود، ولم تصمد معه الفكرة، فهي دليل على عدم جديته في مصالحة سميرة، ودليل على طريقته في الحياة في أن يجعل الأيام تصلح ما تريد، وتفسد ما تريد وما عليه إلا أن ينتظر، وطريقته تلك لا تصلح مع شيء ليس مثل الأشياء التي تحدث كل يوم، ولا يستطيع أن يختصره مثلما يختصر الناس والأحاسيس والمشاعر في كلمة ويلقي بها على الرف.

اندفع مرة وصرّح لناهد بأنه مزّق الصور كلها غاضباً مما سببته لحياته ونادماً على فكرة تصويرها من أساسها وكاد أن يقول «والفيلم كمان حرقته» إلا أنه توقف خوفاً من أن تكون هذه الكذبة صادمة لهما وتزيد من غضب سميرة. «ما افتكرش ده حيصلّح

حاجة». في كل اجابات ناهد القتضبة كان يشعر بسخرية ما تغلفها، تتخلل كلماتها السريعة. هل تسخر من كل ما يحدث أم منه ومن تودده لها؟

لم تمنع نفسها مرة من الضحك فجأة بعد صمتٍ حطّ على المكالمة فى انتظار أن تجيب على سؤاله ماذا يفعل ليصالح سميرة. لماذا ضحكت؟ اعتذرت والضحك يكاد يتفجر من اعتذارها. قرر لحظتها أن يغير الموضوع وسألها عن أخبار الدراسة فى كلية التجارة، «زحمة» فهم أنها تقصد كثرة أعداد الطلاب لكنها لم تضف أية كلمة أخرى وأنهى المكالمة وكلمتها فى أذنه شتيمة مؤدبة.

استعاد وجه ناهد كما رآه فى تلك الأيام التى كانت فيها تتردد علىٍ شقته كثيراً، وتتكتم مع سميرة أمر الخطاب ولا يبدو عليها شيئاً. ماذا كانا ينتظران منه؟ أن يبوح بالفاعل أم كانا يفكران فى أنسب طريقة لرد فعل سميرة. أسبوع تقريباً وهى فى هذه الحالة وهو ثابت عند توقعه الدائم أنها ستنسى أمر الشنب.

تذكر أن أخت ناهد التوأم توفيت مباشرة بعد ولادتها، وقالت سميرة التى تكبرها بعامين، أنهما كانتا تلعبان معاً وهما صغيرتان، وتتخيلان وجود أختهما الثالثة معهما، وأطلقا عليها «نوسه» وأحيانا كن يغضبن من بعضهن، وعندما يتصالحن تظلان تناديان نوسه لتظهر من مخبئها ولا تغضب منهما.

حينما ذهب بعد يومين ليحاول مصالحة سميرة، لم تقابله، وأعاد على ناهد كل ما قاله لها فى التليفون إلى حد أنه رأى نفسه طالباً يعيد ما حفظه على أستاذه، وكررت ناهد أن سميرة لا تصدق

- أكيد ناسى إدّتها لمين؟.

طلب منها أن تحاول إقناع سميرة بالمجىء، غابت دقائق، أغفى فيها إبراهيم، وانتبه على وقع خطواتها وهى قادمة، فوقف متظاهراً أنه يتهيأ لاستقبال زوجته، وحتى ينفض عنه النوم الذى تسلل إليه فجأة، شعر بأن ملامح وجهه لا تطاوعه فى إزالة آثار الإغفاءة السريعة. وفى نفس الوقت تبدو غاضبه من رفض سميرة المجىء، فخرج سريعاً مبديا الغضب وقلقاً من أن تكون ناهد لمحت شيئاً.

هل لهذا الحد يستهين بما حدث، ولا يقدّر أثره على زوجته؟ لا يتذكر أنه أغفى من قبل فى مواقف مهمة كهذه، نعم لا يحب هذه الشقة وعتمتها حتى فى أوقات الصباح، ويشعر بالضيق حينما كانت والدة سميرة تضطر لإضاءة النور رغم أن الساعة الثانية عشرة ظهراً، ويزداد ضيقه حينما كان يخرج إلى البلكونة فيجد الجو مشمساً ويدخل فلا يجد أى أثر للشمس فى أنحاء المكان. أو ضحت له والدة سميرة أنهم كانوا سيؤجرون شقة أخرى، لكن والد سميرة «اتأخر شوية على صاحب البيت»، فهم بعد ذلك معنى اتأخر شوية، فهو كان بطبيعته كسولاً، ويقنّع هذا الكسل بإظهار أنه لا يجب التسرع فى اتخاذ القرارات.

تأكد من أنه لو كان والدا سميرة على قيد الحياة، لساعداه فى حل هذه المشكلة، أو على الأقل لظل أحدهما جالساً معه يحدثه، ويمنع تسلل النوم إليه.

- ١٠ -

اندهش حينما وجد أمامه عبد العظيم خال سميرة. وأين؟ فى مكتب بهاء للمحاسبة رغم أنه لم يزرهما إلا مرة واحدة ليهنئهما بالزواج، ونادراً ما كلمهما فى التليفون.

ودون أن يجلس.

- مين اللى بعت الصور؟

التفتت السكرتيرة إليهما. وتحجر الساعى سامى فى مكانه عند الباب بعدما أرشد عبد العظيم إلى الغرفة.

- الموضوع انتهى خلاص.

- لأ ما انتهاش. قول مين؟

- أنا اتصرفت.

- يعنى تعرفه. وتقول لسميرة ما تعرفوش

جذبه إبراهيم من يده ليخرجا بعيداً عن السامعين، لكنه رفض التحرك.

- مين؟

علا صوته، وكأنه لا يقدر على التحكم فيه بعدما أطلقه بكل قوة، ملامح وجهه العجوز بدت أكثر ضعفاً من صوته. وازداد وهنها مع اتساع حدقتى عينيه الغاضبتين. بدا بطوله الزائد عن اللزوم كابوساً لا يريد أن ينتهى.

طلب منه أن يهدأ وسيفهمه كل شيء. مين؟ عرّفه أن سميرة ستعود إلى البيت. كداب. وانفجر الأستاذ عبد العظيم شارحا له أنه قادم حالاً من عندها، وقالت له عن الموضوع كله، ووصفت له الصور كلها.

- كلها يا أستاذ يا محترم.

- مستحيل.

قالها تلقائياً، وأمامه وجه سميرة الساكن، والتى تتردد ألف مرة فى إيقاظه إذا استيقظت مفزوعة من كابوس، رغم إلحاحه عليها أن توقظه مهما كان متعباً.

- مستحيل. تحب أوصفهم لك.

كيف كان يصفها؟ أيمتلك القدرة على النطق بالكلمات المناسبة للوصف هذا الطويل المحال إلى المعاش من سنتين أو أكثر، أكان سيستخدم يديه وجسده كله فى الوصف؟ لماذا هو غاضب؟ لا يعرف عنه أنه إلى هذا الحد ممكن أن يغضب لشيء يصيب أحد الأقرباء، بالكثير كان يظهر فى المناسبات. ولا يترك أثراً بعد مغادرته يمكن أن يتحسر الإنسان بعدها على غيابه الطويل. أوصفتها له سميرة بالفعل؟ كيف. وأى الكلمات استخدمتها وبأى نبرة صوت، ولماذا اختارت أن تخبر هذا العبد العظيم بالذات؟

- مين؟

دفعه إبراهيم بقوة، كاد أن ينكفئ على وجهه، سنده الساعى.

- مش هاسكت. حا تصرف. لازم أعرف مين؟

ماذا سيفعل لو عرف مين؟ يقتله. يبلغ عنه. يؤجر شخصاً ليضربه أو يضربها أو يضربهم. ظن أن الحكاية كلها ستقتصر عليه وسمراء وسميرة وأحمد. لكن هاهو خالها ينضم للعارفين بالأمر.

اتصل بناهد:

- إزاى توصف لخالها ...

تداخل صوت سميرة مع صوت ناهد من سماعة أخرى، وطلبت منها أن تغلق السماعة «بسرعة».

- ١١ -

كان يجب ألا يدفع خالها. لا يعرف من أين أتت له هذه القدرة على دفعه. أمن غضبه عليه لذكره بصوت عال أن سميرة وصفت له الصور، أم لأنه رآه شخصاً بالفعل زائداً عن اللزوم وظهر فى غير وقته راغباً فى اكتساب حق القادر على التصرف ووضع حد لما يحدث، أم لخوفه - أو ضيقه - من اتساع دائرة الحكاية. ربما يكون السبب اقتراب عبد العظيم منه، لدرجة أن رذاذ لعابه طال وجه إبراهيم، ولم يعرف هل الرجل لا يسمعُ جيداً فيقترب من محدثه أم أنه لم يحسن تقدير المسافات بينهما. اختنق إبراهيم فجأة من اقترابه الشديد فدفعه دون تفكير.

كيف لجأت سميرة إليه ولماذا قالت له رغم أنها كانت تراه مقصراً فى حقها وحق أختها بعد وفاة والديهما.

حكت له مرة حادثة مشهورة فى نطاق عائلتها: تشاجر عبد العظيم مع زوجته قبل وفاتها، ومع ابنه قبل سفره، والسبب إصراره على ألا يقترب أحد من التليفزيون فى أحد الأيام، وكان يوم جمعة، تنفيذاً لنصيحة سمعها بأن يريح الجهاز يوماً فى الأسبوع، وبالطبع رفض ابنه لأنه يريد مشاهدة المباراة وانضمت والدته له، وحاولت أن تصرف زوجها عن عناده بكل الطرق، لكنه أصر، وهما أيضاً أصرا وعلا صوته وصوتهما، فلم يكن منه سوى «علىَ الطلاق ما انا بايت فيها الليلة دى» ونفذ السهم رغم تراجع زوجته وابنه عن

موقفهما، وعند منتصف الليل افترش بسطة السلم وأخذ معه الراديو الترانزستور الصغير وظل في موقعه حتى الفجر وسهر الاثنان غير مصدقين ما يحدث منتظرين عودته في أية لحظة أثناء مشاهدتهما التليفزيون الذى كان صوته يصلهما بالكاد.

تذكره هذه الحكاية جعله يخشى ردود أفعال عبد العظيم غير المتوقعة التى قد يكون سببها إصراره على أن يظهر للجميع قدرته على الفعل رغم كبر سنه. خاصة لو لجأ إليه أحد كما لجأت سميرة.

- ١٢ -

بدا ضحكه وكأنه لن ينتهى.

ملامح وجهه تتغير حسب قوة الضحك وخفوته. تغيرات تتسارع وتتباطأ كما لو أنها أمام مرآة مقعرة تتراوح بين الاقتراب والابتعاد عنها. تندغم بعض كلمات بهاء مع ضحكه، ولا يقدر إبراهيم أن يسمعها أو يضطر إلى تخمينها. ظل إبراهيم صامتاً لا يرغب فى أن يعلق أو يوضح لبهاء أى شىء. كاد أن يضحك مثله لكنه اعتبر أن بهاء يضحك بالنيابة عنه وعمن بعث الصور. ضحك جماعى يسمعه الآن إبراهيم المحدّق فى وجه الجالس خلف مكتبه، ويحكى له كيف اتصل به عبد العظيم يسأله عن رأيه فى إبراهيم، وعن سلوكياته فى العمل، على أساس أنه أخ كبير يهمه أن يصلح بين أخيه الصغير وزوجته ، وشرح له باختصار ما حدث.

- حد فى الدنيا يصور مراته.

لم يصدق بهاء عدم معرفة إبراهيم بالفاعل، وظل ينصحه بالصبر على سميرة حتى يطيب جرحها، ولولا الحرج لطلب منه أن يعَرفه على من فعلت هذا أو على الأقل يرى آثارها على صور زوجته.

هل يقدر على أن يضع حداً لفترة عمله بالمكتب، هل يقدر على أن يضرب بهاء ويقطع كل أوراق الميزانية العامة والوضع المالى

ويمضى لاعناً كل وعود ملاّك الفندق. وهل سيظل يضرب ويدفع كل من يعرف الحكاية؟

تذكر ما حدث له فى مدرسة السعيدية الثانوية، وكان قد خرج إلى الفسحة وفتح حقيبته حمدى أحد المتربصين به دوماً، وأخرج محتوياتها أمام مجموعة من الطلاب، وعثر على خطاب عاطفى كتبه لإحدى طالبات الجيزة الثانوية للبنات، وقرأه بصوت عال والضحكات تعلو من حوله، ودخل ليصطدم سمعه بكلماته وكاد أن يهجم على حمدى، إلا أنه تسمر فى مكانه وأخرج سيجارة من جيبه ووضعها فى جانب فمه، وهو يراقب دهشة الجميع وأشعلها مردداً: تعرف تكتب أنت كلام زى ده؟. لم يرد أحد، فالكل كان يترقب دخول المدرس فى أى لحظة، وبالتأكيد كانوا يتمنون أن يأتى سريعاً ليروا ماذا يحدث لإبراهيم الذى لم يدخن إلا معهم فى الحمامات، واندفع يحيى الواقف أمام الفصل يراقب ما يحدث وصاح: رئيس الدور، ونزع السيجارة من بين شفتيه. وقذف بها من الشباك. وهرول إبراهيم إلى مكانه واثقا فى أن حمدى وزملاءه سيشيرون نحوه لو سأل رئيس الدور عمن دخن فى الفصل؟ لم يعرف بعد ذلك كيف جرؤ على فعل هذا، كل ما فكّر فيه لحظتها أن يصرف نظرهم عن الخطاب بفعل غير متوقع دون أن ينتبه أنه سيكون أول الخاسرين بسببه، وربما كانت نتيجته لو وقع أن تتزايد ضحكات حمدى ومن معه وهم يحكون حكاية مزدوجة عن السيجارة والخطاب. هل هذا شبيه بصمته التام وسميرة تقف أمامه وقد صفت الصور على السرير، لم يتكلم، لم يصرخ، لم يستعطفها، دون تفكير

صمت لأن الكلام لا طائل من ورائه ودون أن يحسب عواقب صمته وهل هو مطلوب في هذه اللحظة. لم ينس يحيى وهو يلتقط السيجارة من فمه، ودائماً كان يراه دليلاً على أن عناية ما تحفظه وتنقذه من براثن كوارث محققه، إلا أنه يرى هذه الصور دليلاً معاكساً على أن تلك العناية قد تعبث معه قليلاً وربما دون أن يدرى انتهت مدة صلاحيتها.

ناوله بهاء أوراقا عرّفه أنها صور من شيكات بعثتها بعض الشركات السياحية توضح ما حصلته من الفندق فى الشهور الأخيرة قبل التصفية.

– ولا يهمك. هيه الستات كده

أخذ إبراهيم الأوراق وخرج ليبدأ للمرة الثالثة أو الرابعة لا يتذكر إعادة ضبط حساباته بإضافة قيمة تلك الشيكات.

- ١٣ -

وهو يخرج من المكتب، شعر إبراهيم أنه من فئة الناس المطمئنة، تحدث حولهم، وربما داخلهم الكوارث، ورغم ذلك هم مطمئنون لا يقلقهم شيء ولا يزعجهم أنه يحدث بالقرب منهم أى شيء. حتى لو كان غريباً، مفاجئاً لهم، فإنهم ينظرون إليه وكأنه متوقع حدوثه، وسينتهى فى لحظة ما.

لا يعرف سر تواكله على وعود أصحاب الفندق بل ويقينه في أنها ستحدث. الأغرب تزيينه لها بانطباعات وظنون لتصير وعوداً كما ينبغى.

فجملة مثل «إن شاء الله ستكون معنا فى المشروع القادم» تستقر فى داخله «أنت بقيت معانا خلاص» لا يعرف من أين أتته هذه القدرة على أن يكون مطمئناً ويجدها - ربما دون وعى - الوسيلة الوحيدة للحياة، بالطبع يقلق أحياناً لكنه قلق من نوع «فترة وتعدى».

بالفعل لم يوطد أية علاقات مع العاملين فى الفنادق الأخرى، ولا حتى زملائه الذين تركوا الفندق قبل غرقه واستطاعوا أن يلتحقوا بوظائف مماثلة.

مكث فى قوقعته هذه التى انفتحت من كل الجوانب، واندفع الماء يجرف كل ما احتوته. عدم رضائه عن هذا العمل منذ البداية

استمر وإن بشكل أكثر خفاء، لأن جميع من حوله كانوا يتطلعون إلى الأحسن، الأفضل، وجودهم في الفندق كان مجرد محطة ليرحلوا إلى محطة أخرى، أما هو ظل يوهم نفسه أنه من المستحيل تصفية الفندق بعد كل هذه السنوات، ولا بد أن هناك حلاً سيظهر وينقذ كل شيء، لم يكن يتصور إمكانية أن يحدث إنهيار مثل هذا، وهل واجه هو انهياراً من قبل؟ كل شيء كان يسير حسنا دون أن يبذل جهداً، ربما كل الجهد الذى كان يحتاجه أن يتلفظ بـ «فترة وتعدى» يقنع نفسه بالصبر وتطول الفترة فيجد أنها لسه ما عدتش. لم يمتلك مثل أصحابه بصيرة أن يقفز من السفينة قبل أن تغرق.

لم يعرف حتى معنى أن تغرق الأشياء، تختفى، تروح بلا رجعة.

عمله مع بهاء يطبق عليه نفس طريقته، طريقة أنه لابد سيستمر فى هذا المكتب لو خذله ملاّك الفندق، وسيتمسك به بهاء لخبرته، وحسن أدبه. لم يصغ جيداً لكلمة بهاء نفسه حينما اشتكى له – ليختبر رد فعله – من عدم وجود شغل فى الفنادق «أكيد صعب على أى فندق يوظف شخص كان فى مكان اتصفى، خصوصاً لو كان بتاع حسابات إلا إذا كان مسنود».

لماذا لا يهدم البيت كله. كيف؟ أن ينسى موضوع سميرة تماماً، ويطلقها بالثلاثة، ويضرب رأس بهاء فى الحائط حتى يصير قطعاً صغيرة، ويخنق ويبصق على هذا العبد العظيم.

لماذا لا يفعل هذا. أهمل سؤاله. رآه قديماً، يذكره بإبراهيم

المطمئن الذى تنزلق عليه الأشياء وكأنه سطح أملس. يذكره – ربما – بأن من يهدم يكون غاضبا «معه حق»، وهل هو فعلاً غاضب أم أنه انتبه فجأة، اندهش فجأة، وجد نفسه بدلاً من أن يخرج المفتاح من جيبه ليفتح باب شقته، وجده مفتوحاً. وهو من كان يظن أن الأمر كله مفتاح يفتح ويغلق.

ما كل هذا؟

كل ما يريده إبراهيم أن يكون صاحب ذكريات من نوع:

لما حدث هذا، قررت، وفعلت، وذهبت، وجئت وتحملت حتى استطعت.

لا أن تكون ذكريات من نوع:

لما حدث هذا قلت وماله.

- ١٤ -

وهو يخرج مفتاح شقته من جيبه، نظر إبراهيم إلى الشقة المجاورة. تذكر أنه فى غرفتها الداخلية المطلة على المنور، كان يحب أن يفتح الشباك حينما يعود ليلاً، ويترك هواءها البحرى يداعب وجهه ويتنفس نفساً عميقاً خاصة لو كان مرهقاً كحالته الآن.

لم يعد دخوله إلى شقته كما كان فى وجود سميرة كان يدخل ليجد بالتأكيد شيئا جديدًا، حتى لو كانت هدومه التى تركها ملقاة على السرير، قد وضعت مكانها فى الدولاب، فنجان القهوة تم غسيله، فردتا الشبشب وضعتا متجاورتين. سيدخل الآن ليجد كل شىء كما تركه، ولو مرر إصبعه على الترابيزة سيظهر له خط طولى وسط الغبار الكثيف.

ما إن دخل الشقة، حتى بلل طرف حذائه الماء المتسرب من حنفية الحمام. نسى إغلاقها حينما خرج وكان الماء مقطوعاً. طوى سجادة الصالة ونشرها على سور السلم، وتابع قطرات الماء المتسارعة تسقط منها وتستقر عند بسطة الدور الأرضى. تناول المسحة وبدأ فى دفعه ناحية البلاعة. لاحظ أنه يدفعه بإصرار غريب وكأنه خلق لهذه المهمة وصار يجيدها ويفرح حينما توكل إليه ويسعى إلى إظهار مهارته فيها.

من قوة دفعه، كان الماء يرتفع أحيانا فى الهواء ويسمع صوت لطمه البلاط والحائط. أشعل سيجارة، ووضعها فى جانب فمه،

وأكمل مهمته وهو يزرُّ عينيه أمام الدخان المتصاعد بإحساس «الأسطى الشاطر» الذى تنم تعبيرات وجهه التى يبديها للزبون عن قدرته فى صنعته.

رغم إزاحته الماء كله نحو البلاعة، إلا أن يديه استمرتا تحركان المسحة بقوة، وتطاردان أى بلل تلمحه فى أرضية الصالة، ويمسح إحدى كفيه المنداة بحبات العرق فى ملابسه بينما الأخرى مستمرة فى التحريك، وامتدت حركته إلى الحوائط التى تناثرت عليها قطرات، وارتفعت إلى الأجزاء الجافة تمسحها وتهبط سريعا إلى أسفل وتندفع إلى أعلى مرة أخرى. غمره الإحساس بأن الماء لن ينتهى، وسيظهر فى كل موضع تمتد إليه يداه بالمسحة وأن جسده لا يريد التوقف باحثا عما يطيل حركته.

تذكّر عادة استنها فى مكتب بهاء لم يفرضها عليه أحد، أن يعد كشوف الديون المستحقة للفندق أو عليه «أول بأول» دون انتظار أن تأتيه البيانات اللازمة من كل الجهات التى كانت تتعامل مع الفندق، فقد اكتشف ضياع المستندات الخاصة بها بعد رحيل المدير المالى ونائبه اللذين قصدا ترك تلك الثغرات فى الحسابات دون أن ينتبه أحد. وسأله بهاء عن سبب عدم انتظاره، فاندفع يعلن عن حبه أن يكون عمله كاملاً حتى آخر مستند معه، وكرهه أن يبدو مقصرًا، لذلك ظل يعيد تلك الكشوف مرات ومرات كلما وصله جديد من الديون، وصار مشهدًا عاديا تمزيقه لما ضبط حساباته ليعيد كتابة غيرها ولم يستطع تحديد هل سيفهم من معه فى المكتب ما يفعله

عـلى أنـه تمـيز ودقة فى العمل وحب له أم خوف من أن يصبح بدون عمل أم أنه شخص لا يمل التكرار ويظنه موهبة؟

فى النهاية رمى عقب السيجارة بقوة فى البلاعة متضايقا من أنه لم يخلع عنه القميص والبنطلون قبل أن يبتلا.

- ١٥ -

وهو يدير مؤشر الراديو بعد استيقاظه، توقف عند محطة، أو لا محطة تتداخل فيها الأصوات بلغات عديدة، وظل يصغى إليها.

أغمض عينيه، محاولاً استعادة الصور، ليفهم بماذا تشعر سميرة حينما تتذكرها وهى بعيدة عنه أثناء تجولها فى المعرض الذى أقيم رغم أنفها ووجدت نفسها مجرد واحدة من زائريه. شغله التفكير فى قدرته على تذكر معظمها بوضوح، وأن تلك الخطوط العريضة بقلم الروج مهدت له الطريق ليرى. عاوده الشعور بأن خياله هو الذى نشط وليست ذاكرته، وصار يتخيل صورًا كثيرة تتلاعب بها خطوط تتزايد كلما اشتد تركيزه. تذكر المرة التى أخرج فيها الصور، وتمهل فى النظر إلى كل واحدة متمنيا أن يعثر على شىء خفى عليه فى كل المرات التى رآها فيها فتتبع خطوطا بدت له وقد خطت من يد كانت مازالت تستكشف معالم جسد سميرة، وواضح تعثرها وترددها، راح فى تمهله أمام الصور يعدل بعينيه انحراف خط ودّ لو سار مستقيما مع الساق، وأخذه التركيز حتى رأى استقامته ثم انطلق يضيف ويكمل امتدادات وتقاطعات وانحناءات وخطوط أخرى، ولم يكف إلا بعد أن رمى الصور بعيدًا عنه.

ابتعد عن نقطة انطلاقه أن يفهم بماذا تشعر سميرة.

ماذا لو كانت الذاكرة مثل الكاميرا، بمجرد إخراج الفيلم

منها تصير بلا ذاكرة، مهيئة لاستقبال أفلام أخرى بدون ذكريات عن صور قديمة قد تاتيها في أية لحظة. مع كل فيلم جديد تبدأ الكاميرا من جديد، وكل ما يشغلها أن تنتهي من عدد الصور المحدد للفيلم لتبدأ مرة أخرى. البداية دائما بالنسبة إليها متاحة، لا تعرف ماضيا يشغلها ولا مستقبلا تسعى إليه، كل لقطة هي بداية ونهاية مستكفية بذاتها لا تنشغل بما قبلها ولا بما بعدها ولا تعرف حتى مشاعر الآخرين إزاءها، ولا تتوقف إذا فشل الفيلم كله في إظهار النتائج المنتظرة، فهناك دائما فيلم جديد وبداية جديدة.

رغم استحالة ما تخيله إبراهيم إلا أنه سرح فيه كمن يريد الاقتناع بإمكانية حدوثه، وبأن يتسلل إلى آخرين غيره لينشغلوا به نفس انشغاله.

من قبل حينما كانا يستيقظان مبكرًا ويظلان مستلقيين على السرير غير متعجلين للنهوض، كان حوار خفيض الصوت يدور بينهما، ومهما يكن موضوع الحوار إلا أنهما كانا يحافظان على نبرة صوتيهما التي لم تنفض بعد آثار النوم، وممتلئة في نفس الوقت براحة الاسترخاء. ضحكهما أيضا كان هامسا لا يتسرع في استعادة نبرات الصوت العادية، وكانت سميرة أقدر منه على الاحتفاظ بهذه النبرة الخفيضة حتى يتركا السرير، أمّا هو فبدون قصد وفي غمرة كلماته الهامسة كانت تبدر منه كلمة عالية الصوت أو ضحكة خشنة سرعان ما يكتمها متضايقا ويخفض صوته مرة أخرى.

لكنه في زياراتهما القليلة التي قاما بها معا لمجاملة أحد،

كان يجيد بث همساته نحوها لينهى الزيارة، تصدر منه وكأنه يخيرها بين المكوث أو الرحيل، وفى الحقيقة كان سماعها همسه إعلانا واضحا عن ضرورة الانصراف، فأية دقيقة بعد ذلك كانت ستعرضها للحرج لتململه المستمر فى جلسته وكلماته الشحيحة التى تكشف عن زهقه.

هل بالفعل كانت قشة هى التى قصمت ظهر صبرها، وتحمُّلها؟ وهل هى قشة فقط أم أنه يهوّن الأمر لكى يبين عن مبالغتها فى رد فعلها؟

أعاد ضبط مؤشر الراديو ليستمر تداخل الأصوات واستمر فى الإصغاء إليها.

- ١٦ -

انطلق بأقصى سرعة ليلحق بها. تفادى من يسيرون أمامه، وإن اصطدم بكتف أحدهم وسمع «حاسب يابن الكلب». عبر الشارع ووجهه ناحية العربات يشير إليها بيديه لتهدئ من سرعتها. لعن الشنطة التى فى يده، وفكر أن يطوّح بها بكل قوته. أبطأ من اندفاعه حينما تأكد أنها ليست سميرة، ولا شبه بينهما سوى فى هيئة الظهر وقصّة الشعر. توقف مكانه. يلهث، وينظر إليها وهى تبتعد. تشبهها أيضا فى حركة الذراعين: إحداهما سريعة والأخرى تكاد أن تكون ثابتة لدرجة الشعور بأن الاثنتين تجهدان طول الوقت لتتوافقا فى حركتيهما.

فى فرح لأحد أقرباء سميرة، أشارت إلى واحدة وسألته كم يظن عمرها، ستة وعشرون، سبعة وعشرون عامًا. فقط سبعة عشر، ومطلقة ولها طفلة تشبهها تماماً وتقول لكل من يلمح التشابه إن الزوجة حينما لا تحب زوجها تنجب طفلا يشبهها. وعرّفته سميرة عليها، وما إن هم بالإشارة إلى الشبه حتى انطلقت تكرر ماقالته سميرة وأنها تفكر فى تغيير اسم الطفلة لأنه من اختيار مطلقها.

كل ما تمناه أن يفاجأها بوجوده أمامها، ويكشف عن شدة افتقاده لها وأنه صار يكره البيت من غيرها ولا يرغب فى العودة إليه إلا معها.

تخيل أن كل هذا الكلام كان سيختصر المسافات التى تفصلهما الان. ولهاثه وإعياؤه الشديد من شدة الركض وحبات العرق على جبينه كانت ستظهره فى هيئة من يستطيع فعل أى شىء من أجلها، من أجل اللحاق بها.

تمنى وهو يعود ثانية إلى طريقه لو يقدر على أن يحكى لها ما حدث بالتفصيل، لكنه تأكد من أنها لن تصدقه، ولن يصدقه أحد، وسيفهم كلامه بكل الطرق إلا أنه فعل هذا وكادت أن تصطدمه العربات.

- ١٧ -

خرجت السكرتيرة من عند بهاء، وهى تحاول كتم ضحكتها. أخبرته بأنه يريده «بسرعة». ما إن دخل حتى صاح بهاء:

- أهلاً إبراهيم. اتفضل.

حدقت فيه ثلاثة وجوه لم يكن يعرف أياً منها. نظر إليها بهاء وهو يتظاهر بالجدية.

- إبراهيم خبرة كبيرة أوى، ولولاه ما كناش قدرنا نمشى بالمعدل ده فى تصفية الفندق، رغم انه عايش ظروف صعبة. لكن واخد باله من شغله كويس

سأله ذو الوجه السمين:

- خير إن شاء الله. مالها ظروفه.

- لا. حاجة بسيطة وحتتحل. صحيح إيه آخر الأخبار؟

من حقه الآن أن يهشم رؤوسهم جميعاً بالكرسى الذى يجلس عليه وأن يسيل دماءهم على هذا الموكيت وعلى هذه الأوراق، ويرى فم كل منهم مفتوحًا عن آخره يحاول التقاط أى نسمة هواء قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

- الموضوع اتحل خلاص.

- اتحل ازاى، ده لسه الأستاذ عبد العظيم مكلمنى دلوقتى.

– ده راجل كبير وخرف. ما تصدقهوش.

– عموماً أنا قلت له أكيد فى حد حاطك فى دماغه.

– شكراً. فى حاجة تانية؟

– محمد بيه. كان عايز مدير حسابات لقرية سياحية فى شرم الشيخ.

التفت البيه إلى إبراهيم

– أنا عرفت إنك قرّبت تخلص شغلك هنا، وكلام بهاء بيه خلانى متحمس ليك.

– شكراً.

– خلاص تستلم شغلك أول ما تخلص على طول، ولاّ تحب ترتاح شوية لغاية ماترتب أمورك وتحل مشكلة الصور.

– صور إيه؟

– لأ. أصلهم سمعونى وأنا باتكلم مع الأستاذ عبد العظيم.

فناجين القهوة الموضوعة أمامهم، أول مرة يراها فى مكتب بهاء. سطحها الخارجى أسود بينما نصع الأبيض داخلها. لم يطمئن لها. يريحه أكثر أن يتبادل اللونان موقعيهما، أما بشكلها الحالى فجوف الفنجان الأبيض يسلم نفسه بسهولة إلى آثار البن المتبقية على جوانبه، على عكس الأسود الذى لا يبرز سوى نفسه.

امتدت يده إلى فنجان ليختبر تغيير موقعى اللونين بتقريب الأبيض إلى عينيه لدرجة لا يرى معها الأسود. لوهلة شك فى

ارتياحه لوجود اللونين، ومال إلى أنه فكر فيهما لأنهما متاحان أمامه – فقط – لا لحبه لهما.

عاد محمد بيه بصوته الرفيع.

– وفيها إيه يا أستاذ إبراهيم لما نكون أسرة واحدة ونسأل عن أخبار بعض.

– بس الموضوع خلص خلاص.

– عدوما لينا قعدة تانية. هستك يابطل.

صحيح عبد العظيم رجل مخرّف، لا حدود لما يمكن أن يفعله من حماقات الا أنه واثق من عدم اتصاله مرة ثانية ببهاء، وكل هذا كذب ليبرر به معرفة أصدقائه الثلاثة بحكايته.

هل العرض حقيقى فعلاً أم أنهم اختلقوه ليطيلوا الحوار معه ويعرفوا المزيد عن حكايته، رغم أنه يميل إلى تصديق هذا الاحتمال، لكنه لا يقتنع به تماماً.

«يميل إلى ... لا يقتنع» أليست هاتان الكلمتان اختصاراً ناجحاً لعلاقته بعمله منذ أن دخله أو أدخلوه فيه، لكنه فى هذه المرة يريد أن يميل ويقتنع أنه فعلاً عرض حقيقى.

- ١٨ -

انصرف الجميع. هو وحده فى المكتب. أمامه الأوراق المليئة بالجداول المقسمة إلى خانات عديدة. ظل يحدق فيها. غائمة الأرقام والأسطر فى عينيه، وراحة تشمله محاولا إبقاء هذا الغيمان دون أن يتدخل عقله ويصرفه ويعيد كل شىء إلى وضعه.

لم تكن الراحة فقط ما شعر بها، سعادة أيضا غريبة انتابته من أن كل شىء غائم ولا حدود له، من أن كل شىء فيه معطل سوى استغراقه فى تلك الأوراق التى تبدو كأن كوب ماء اندلق عليها وأسال حبر الأرقام.

ما كان يضايقه معرفته أن هذا لن يدوم، ولا بد أنه سينتبه وسترى عيناه الأرقام ثانية كما ينبغى. لا دوام لشىء سوى الموت. أن تموت يعنى أن تموت دون رجعة، دون إعادة استئناف مرة أخرى.

لم يهتم أبداً فى حياته بالموت. وما ضرورته الآن؟

يريد أن يصرف عنه هذا الزائر الثقيل. كيف؟

تخيله يرتدى طربوشاً أحمر، يقع منه كلما سار خطوة، وحينما يهم بالتقاطه من الأرض ينفتق بنطلونه من الخلف، فيسير هكذا: يخفى بيديه القطع، ويحاول أن يزن الطربوش على رأسه، فيقع مرة أخرى، ويقف مفكراً كيف يلتقطه دون أن يزيد الفتق. يحرك قدمه فى خفة محاولاً أن يدخلها فى قلب الطربوش ثم يقذفه بقوة ناحية رأسه الذى يتحرك فى لحظة مناسبة ليستقر فوقه هذا

الأحمر. تفشل المحاولة، يعيدها مرة أخرى. تفشل. يزهق الموت. يميل ليأخذ بيديه. يصله صوت اتساع الفتق. يرمي الطربوش بكل قوته، ويسير الموت دون أن يوارى خلفيته بيديه.

- تبات نار تصبح رماد

هذا ما كان ينقصه، أن يدلى سامى الساعى بدلوه فى موضوع سميرة، وينصح إبراهيم بصوت ملؤه الحب والمواساة والإشفاق، ولولا الملامة لكان ربت على كتفه وأعطاه سورة ياسين ليضعها أسفل مخدته لتجلب له الوفاق وترأب الصدع.

- سامحنى، إن كنت باتكلم

لم يضايقه كلام سامى. لم يصغ له حتى، كان ينظر إليه وهو يتكلم كمن ينظر إلى صورة فجأة تحركت ونطقت.

صورة كان لا يعيرها إبراهيم أدنى اهتمام، فقط كان يتذكرها حينما يطلب منها «شاى. قهوة. اشتريلى حاجة من تحت».

ظل ينظر إليها برغبة دفينة أن تظل تتحدث وتحرك ذراعيها إلى ما لانهاية، ويظل هو هكذا جالساً لا يتحرك وكأنه مستعد ليلتقط لها صورة.

- أعمل لحضرتك قهوة.

- وماله.

انتبه على:

- حاول يا أستاذ إبراهيم ما تزعلش الأستاذ عبد العظيم. ده راجل كبير، وممكن يساعدك.

— ١٩ —

تذكر ما قاله سامى «تبات نار تصبح رماد» ولم يستطع تحديد إحساسه بالمثل بينما يكرر لنفسه، وخطر فى باله «يا ما فى الجراب يا حاوى» ورده أكثر من مرة.

متى حدث هذا؟ فى الإعدادية. الثانوية. الجامعة؟ كان عائداً إلى البيت، ورأى من بعيد حلقة من الناس حول «حاوى» وصله صوته وهو يعدهم بأن يريهم ما يدهشهم ويسحرهم «بس فى الأول نسمع الصلاة على النبى وأحلى تسقيفه» لا يتذكر لماذا لم ينضم إليهم، وإن كان الآن يرى أنه ابتعد عن الحلقة لأنه زهق من كثرة فرجته على الحاوى إلى درجة أنه عرف كل ما سيفعله.

مع حبه للأمثال، يحب تلك العبارات التى تبدأ بـ«الدينا ديه زى...» أو «الحياة اللى عايشينها هيه فى النهاية...»

عبارات تختصر الحياة فى جملة، جملتين، وتضىء داخله بنور يظل فترة قويا ثم لا يلبث أن يخبو تدريجياً حتى ينطفئ تماما، ويُنسى. ربما نسيانه هو ما يجعله مشتاقاً إلى سماع المزيد منها. نسيانه دائما يترك فجوة داخله ترغب فى ملئها بالمزيد من الحكم والمأثورات والمواعظ التى تمنحه الحياة بالمختصر المفيد.

كان يحب أن تأتيه دون توقع مثلاً فى الميكروباص أو التاكسى. يسعد حينما تصله عبارة من أحد الركاب وهو يختم حكاية أو يبروز

حكاية سمعها من رفيقه الجالس جواره. ربما ورث هذا الحب من ابيه، كان ينهز راسه هزا شديدا ما إن يردد أحد على مسمعه قولا مأثوراً، وغالبا ما كان يصيح «الله» ما إن ينتهى مرددها، ويسارع بإلقاء حكمة أخرى تعضد من قول صاحبه وتؤكد صحتها. لم تخذله ذاكرته حينما كان يلتمس منها أبيات شعرية، آيات قرآنية، أحاديث نبوية، أمثالاً. قد يتلجلج فى بداية تذكره لكنه سرعان ما ينضبط صوته ويسلس له الكلام. كان هذا هو ثراء أبيه الحقيقى، وأضاف إليه بعد أن خرج إلى المعاش تلك الأوراق الكثيرة التى كان يدوّن فيها ما صرفه فى يومه، ولا يضع خطاً أسفل حاصل جمع المصروفات إلا قبل نومه، وإذا عرف أن أحداً اشترى شيئا بعد نومه، يكتب قيمته تحت حاصل الجمع القديم ويضع خطاً ثانيًا وأسفله حاصل الجمع الجديد. وردد حينما سأله إبراهيم عن فائدة ما يدونه واحتفاظه بالأوراق التى ترجع لشهور مضت «قدر لقدمك قَبْلَ الْخطْو موضعها» ولم يفهم ما علاقة ما قاله بما يفعله من كتابة الأشياء بعد شرائها وليس قبلها، وظن أن والده كان يقصد قولاً مأثوراً آخر لكنه ربما نسى بدليل شكواه الدائمة من أن المرتب لا يكفى الشهر بطوله.

خلفها الدولاب الذى كانت تقبع فيه الكاميرا قبل أن تنفخ فيها الروح. لم يطله أى خط. راسخ فى مكانه، مغلق، وإن بدا مع الخطوط السميكة وحدَّتها على جسدها خفيفاً وهشاً، رآه قشة يمكن إزالتها بحركة هينة من طرف إصبع. ولا خطَ اقترب من الأشياء المحيطة بسميرة. سليمة ومراقبة لما يحدث، تتبَعها إبراهيم فى كل الصور، وخطر فى باله إنها مثل أشياء نراها فى حلم وننده من وجودها رغم استحالة هذا، وتزداد الدهشة مع تعاملنا معها على أنها طبيعية وضرورية، ونستيقظ ونفكر فى معنى ما رأيناه وكيف اجتمع ما لا يجتمع. الحائط، التليفزيون، الكراسى، مدخل الحمام الذى يبين عن السخان وحنفية الحوض، كلها شعر بأنها غريبة فى هذه الصور، ما ينقصها هو أن تشوه لتنسجم مع ما يحدث لسميرة. أتبعه صلابتها واحتفاظها بصورتها كما هى. توقف عند رموش استطالت، وتعرجت خطوطها، بدا كل خط يجذب رمشاً ويشده بقوة تخرج به عن حدود الوجه.

- ٢١ -

صورهما معًا فى الصفحات الأولى للألبوم الذى اشتراه فى أول زواجه، وحولهما تناثر استيكرز لزهور وملائكة وقلوب صغيرة.

لاحظ أنهما كانتا دائما واقفتين، والفرق بين طوليهما واضح، فصديقتها سلمى بالكاد تصل إلى منتصف ذراعها، وحتى فى وجود صديقات أخريات فإنهما حرصتا على أن تتجاورا، وغالبا ما كانت سلمى تعقد ذراعيها على صدرها فتبدو متحفزة بنظرة عينيها المفتوحتين على اتساعهما، وتظهر قبضة سميرة على كتفها وكأنها تمنعها من الاندفاع إلى الأمام أو الاستمرار فى التقافز.

مَنْ يسمع صوتها ولا يراها يظنها رجلاً لم يحسن بعد ترويض صوته المتردد بين الحاد الرفيع والجهورى الخشن. مرات قليلة تحدث معها، ووجدها تكثر من هز رأسها علامة على متابعتها لما يقوله، وفجأة تطوح ذراعيها فى الهواء وتغير الموضوع، ومباشرة يلمح سميرة تبتسم وتمد يدها لتمسك بإحدى الذراعين، وتشاركها سلمى الابتسام حتى عرف أنها عادة اعتادا عليها، ولها معان يضمرانها فيما بينهما. واكتفت سميرة حينما سألها بأن صديقتها لا تقصد شيئا سيئاً وأن تطويحة ذراعيها تساعدها على الكلام مع شخص غريب.

وكلما سنحت فرصة تنطلق سميرة فى حكى العديد من

الذكريات عنها، فحينما تبيت فى غير مكانها، عند أقارب أو صديقات، يكون اول شىء تقوله عند دخولها غرفة النوم «السرير ضيق» سواء كان هذا صحيحا أم لا، فقولها بداية للحديث عن حبها للسرائر المتسعة على عكس ما يتصوره البعض بأن قصرها يناسبه سرير صغير، فهى تحب دائما التقلب فى الفراش، ويهجرها النوم إذا شاركها أحد فيه. وكانت سميرة تراها الوحيدة التى تقدر على أن تفضى لها بكل أسرارها شرط أن تكون سلمى رائقة المزاج، فهى لا تكف عن الكلام المتنقل بين موضوعات شتى إذا كانت متوترة ومشغولة البال. فى البداية عملت مدرِّسة علوم فى مدرسة إعدادية ثم فى وظيفة إدارية بناء على طلبها بعد أن عجزت عن ضبط أمور أى فصل درَّست فيه، وتتمنى دائما مجىء يوم لا تعمل فيه نهائيا، فالصباح بالنسبة لها كلما خرجت إلى العمل أسوأ فترات اليوم، فهى تحتاج لوقت طويل بعد الاستيقاظ حتى تفيق تماما وتكون فى كامل لياقتها النفسية، ومع خروجها المبكر تشعر بأنها نصف إنسانة مما يردها إلى وطأة قصرها عليها، وتراه مناسبا لمن لم يكمل استيقاظه بعد.

أصفى ضحكات سميرة كان يسمعها فى وجود سلمى التى تدخر ضحكتها الطويلة المتقطعة حتى تفرغ مما تحكيه. كل من يراها يقدر عمرها أقل من الحقيقة، وتسعد بهذا، وإن كانت أحيانا تتضايق حينما يعاملها أحد كأعجوبة أو كطفل نما فجأة فى غفلة من الزمن. وحينما كان يتصل بسميرة ليخبرها بأنه سيتأخر فى الفندق أو يبيت فيه، كانت غالبا تخرج مع سلمى أو تسهران معا فى الشقة

أو تطلب منها البيات معها. فى الفترة التى سبقت خروجها، كان إبراهيم يتوقع العودة يوما ليجد سلمى، لكنها لم تات، وفكر فى احتمال منع سميرة مجيئها كيلا تندفع وتظهر غضبها مما فعله مع صديقتها، لكنه سمع صوتها كثيرا وهو يبدأ الكلام مع ناهد، وسرعان ما تصمت، ويتخيلها وسميرة يتسمّعان ما يقوله من السماعة الأخرى.

وهو يغلق الألبوم، تأكد من وجود شخصيات هم بالنسبة له فيلم لم يتم تحميضه بعد، ربما يتذكر ملامحهم، ما فعلوه، لكن لم يرهم جيداً، لم يظهرهم. التقطهم وتركهم فى كاميرا ما مكتفيا أنها بقربه، فى متناول يديه، وقادرة على أن تلتقط صوراً أخرى.

- ٢٢ -

لن يقتنع أحد بما اختلقته سمراء من أن واحداً ممن كانوا يعملون معه فى الفندق سرق الصور وبعثها تخليصاً لثأر قديم بينهما. لم يقتنع هو، أبدى موافقته لينهى المكالمة، وعند استيقاظه استعاد صوتها وفكر فى أنه لو تمثله ربما يؤثر فى عبد العظيم. حينما كان يصغى إليها أحياناً وهى تقرأ نشرة الأخبار، كان يستغرق فيما تقوله، وتندهش سميرة، فليس من طبيعته الإصغاء لنشرات الأخبار، وتعرف عنه أنها أكثر الأشياء التى تجلب له النوم، وحكى لها أنه ورث نوم النشرات عن أمه، رغم أنها كانت فى بداية النشرة تصغى باهتمام وتعلق على ما تسمعه كما كان يفعل والده قبل أن يتوفى. ورأى أمه حريصة على أن تبقى تلك العادة فى البيت، لكن النوم كان يغلبها.

صوت سمراء كان يشده، يدخله فى نبراته، لا يحدث هذا على طول النشرة، ينتبه فجأة مستيقظاً من استغراقه ويبتسم وقد يضحك بصوت عال لحظة تذكره أن الذى يقرأ النشرة سمراء، وبالتالى كانت سميرة تظن أنه يسخر من أحد الأخبار أو منها كلها وتشاركه الابتسامة أو الضحك ويصير ضحكه مركباً من سمراء، وسميرة، والنشرة، وهو.

هلّ عبد العظيم عليه متحفزاً، لكن إبراهيم لمح أثر سنوات عمره على وجهه. ينكشف عمر الإنسان فى لحظة ظنه القدرة على

فعل شيء ينتسب لماضيه البعيد، والأقسى أنه يبدو كالعرائس تحركها خيوط مشدودة لأعلى فى أيدى محركين رغم اختفائهم إلا أنهم ظاهرون فيما يحركونه. وافق - كما قالت له ناهد - على لقائه «مادام عنده جديد» صوت إبراهيم كان رقيقاً وهو يحدثه، ولم يقل ما ألفته سمراء، ظل يحدثه عن صعوبة ظروف عمله، وخوفه من أن يصير بلا عمل، وغياب سميرة يسلب منه كل أمل فى عودة حياته إلى ما كانت عليه من استقرار.

- دى حياتك، وأنت حر فيها. المهم دلوقتى بنتى.

وجده إبراهيم جالساً جوار أبيه يتعاونان معاً فى كتابة ما صرفاه طول اليوم، ويذكر أحدهما الآخر بما نسيه، ويضحكان حينما يجدان حاصل جمع المصروف يفوق ماكان فى جيبيهما، فيعيدان عملية الجمع، وينتبهان إلى أنهما أضافا مشتريات الأمس إلى ما اشترياه اليوم، ويسأل أحدهما إذا كان فَعَلاَ هذا من قبل، ويقضيان وقتا فى الحديث عن أفعالهما التى تتكرر كل يوم وأن الأشياء صارت كلها متشابهة، ويطيلان الكلام خوفاً من إحضار أوراق حساباتهما واكتشافهما خلطهما الأيام ببعضها.

- أنا مش عارف فعلاً.

- ما فيش حاجة بتفضل سر.

- يا أستاذ عبد العظيم خليك واسطة خير.

- الخيرة فيما اختاره الله.

أصرّ عبد العظيم أن يدفع الحساب

- ماكنش فى غير القهوة دى عشان نتقابل فيها.

– حضرتك رفضت تيجى البيت.

– حد الله بينى وبين دخول بيتك لغاية ما نعرف الحقيقة. سلامو عليكو.

ظل واقفا كأنه يمنحه فرصة أن يراجع نفسه ويضيف جديداً، سار عدة خطوات وكرر «سلامو عليكو» دون أن يلتفت إلى الوراء، ولم يعرف إبراهيم هل قالها للجرسون أم له ليجعله يرد السلام.

- ٢٣ -

سحابة صيف، استمرت ساعة، ساعتين. جلس إبراهيم مع مندوب الشركة الخليجية التى كانت تشارك فى الفندق قبل أن تبيع نصيبها. فهم من بهاء أنهم يفكرون فى المشاركة فى إعادة افتتاح الفندق مرة أخرى. بالطبع فى تلك السحابة شعر إبراهيم أن كل الأمور ستعود إلى ما كانت عليه، وان هذا بشير بعودة حياته إلى استقرارها القديم الجميل، وجلسته هذه مع المندوب ستعقبها جلسة أخرى مع سميرة وينتهى كل شىء.

أيهما كان أسرع، ما شعر به أم إغلاق المندوب للملفات وهو يقول:

- ديون كتيرة جداً. افتكر صعب يوافقوا.

ورغم كل شىء أثنى الرجل قبل انصرافه على دقة حسابات إبراهيم، و «مانعرفش فين الخير».

رغم إنه مصرى، لكنه يراه صورة لمن يوكلونه، يستخدم لهجة المصريين وقفشاتهم وسرعة بديهتهم، لا لشىء سوى أن يثبت انه مجرد وكيل ذكى، متحدث شاطر عن غائبين حاضرين فيه. وهو يعلن أسفه لما آل إليه حال الفندق، بدا كأسف قواد يبديه لواحدة ممن كان يبسط عليهن نفوذه، بعد أن وقعت فى المرض وقبل أن يتركها لمصيرها.

- ٢٤ -

كاد أن يكون موعد تليفون سمراء اليومى ثابتاً، حوالى الساعة الحادية عشرة ليلا، وحينما كان يفكر ألا يرد عليها أو يتأخر فى إجابتها، كانت تنادى عليه فى الأنسرماشين متصنعة البحث عنه فى الشقة، ثم تبدأ فى حكى حكاية قبل النوم: كان فيه شاطر اسمه إبراهيم... حتى يرفع السماعة. تنتظر دائما حدوث شىء من سميرة. من عبد العظيم من أى أحد يعلم بالحكاية. ينم صوتها عن عدم التصديق حينما يقول لها لم يحدث شىء. وتعدد ما كان يجب حدوثه: ماجاش...، ما اتصلتش ناهد، وأحمد فين. كأن هناك سيناريو تخيلته ولا تصدق أن يحدث عكسه أولا يحدث شىء على الإطلاق. رأى أن الحكاية بالنسبة إليها تستدعى أحداثا مثيرة أكثر مما يفعله أطرافها. وتلمح إلى أن الهدوء الذى يحط على ساحة المعركة يخفى وراءه مصيبة أو كارثة تُعد له. تدفعه إلى اعتقاد أن الجميع يخططون ضده وأنه يجب عليه الاستعداد، ولا ترضى عن انتظاره وهدوئه.

اتصالها اليومى به كان غريبا عن عاداتها التى يعرفها، قد يكون اهتماما لكنها لا تظهر اهتمامها بهذه الطريقة، الأقرب إلى طبيعتها أنها تغيب أياماً، لتتصل به فجأة وتخبره بفكرة خطرت فى بالها. راهن على شعورها بالملل من اتصالاتها اليومية، وفى أنه يخيب ظنها بعدم حدوث جديد، لكنها استمرت وكأنها تركت الملل له.

حاول أن يصرف اهتمامها إلى حكاية أخرى، فحكى ما

حدث له فى الشقة من رؤيته الأشياء تبتعد عنه. ضحكت وراحت تلح عليه ان تزوره لترى المكان بعينيها، وعندما أصر على رفضه اكتفت بـ «طب نأجلها شويه».

مكالماتها الأولى كانت متفاوتة فى الزمن، قد تستغرق إحداها عشر دقائق، وأخرى قد تطول إلى ساعة أو أكثر، وكلها تبدأ بـ"إيه الأخبار" تكرار السؤال دفعه إلى أن يسخر منه، وزادت سخريته مع استمرار تكراره. لكنها ظلت محافظة عليه مع ضحكة تسبقه وتهيئ له اندفاعه فى السخرية، حتى رأى أن سخريته صارت تكراراً لا يحتمله. فى مره طلب منها الانتظار ثوان ليصب قهوته، ووضع السماعة وظل جالساً جوارها يدخن سيجارته فى هدوء، وحينا عاد لم تكن على الخط، انتظر حتى أجابته "قلت أعمل قهوة أنا كمان" ثم بدأ يحكى لها ما حدث فى يومه بالتفصيل ليعالج غضبه من تكرار اتصالاتها وسؤالها، وعند شكه فى أنها نامت، يصمت قليلاً، فيأتيه صوتها يحثه على أن يكمل. فكر فى أنها عادة جديدة لديها أن تستمع إلى ما يحكيه أصدقاؤها فى التليفون، ولم يتح له أن يعرف هذا إلا بعد أن صار يعيش بمفرده.

اختبر صبرها مرات عديدة بتمهله فى ذكر التفاصيل، وتخيله الكثير منها، يذكرها وهو يفتش عن المزيد فى خياله.

لم يتمهل هو أمام أى شىء فى حياته بهذا القدر، أعجبته اللعبة التى ترغمه سمراء على الاستمرار فيها واختبار قدرته هو على أن يطيلها إلى أبعد مدى. لقاؤه بعبد العظيم فى المقهى استعاده مع سمراء مدة أطول من زمن اللقاء نفسه.

وفاجأه حكيه بأشياء لم ينتبه إليها أثناء حدوث اللقاء، تبينها كأن يحكى له ملابس عبد العظيم وكيف شرب الشاى الذى لم يكمله وطريقة جلسته، وجد الكلام يجذبه إلى التفكير بصوت عال فى أن عبد العظيم يتمنى لو طال غضب سميرة وبعدها عن البيت ليظل هو يقوم بدور المسؤول عنها الراغب فى أن يكشف لها الحقيقة وفى نفس الوقت ليملأ وقت فراغه الذى يكاد أن يبتلع حياته. وأنه لم يحسن اختيار مكان اللقاء. اقترح أول مكان خطر فى باله، دون أن يتمهل كما يفعل الآن ويفتش فى ذاكرته عن مكان يناسب شخصية عبد العظيم. استمرار كلامه عن اللقاء جعله يشعر بعبد العظيم طفلاً ينمو أمام عينيه، ويجب أن يكون إبراهيم على قدر مسؤولية رعاية طفل مسؤول هو بدوره عن زوجته.

توقف عند نبرات صوت بهاء التى يجدها صارت أكثر لطفا وترحيبا به، لم يغير طريقة تعامله معه، فمازال إذا أراد شيئا من حسابات الفندق، لا يهتم إذا كان إبراهيم أوشك على الانصراف، ويصر على أن يكون ما يريده أمامه على المكتب حالاً، الاختلاف وجده فى نبرات الصوت، وفى إحساسه بأنها دعوة ليحكى له ما جدّ فى حكاية سميرة أو ليطلب رأيه فى تطور الأحداث، ولم يكن رد فعله على تلك النبرة سوى التغافل عنها وثبات نبراته على ما كانت عليه بل والحرص على إظهارها أكثر جدية لتنم عن انهماكه فى العمل رغم كل الظروف. صراع النبرات هذا رآه أكثر أجزاء حكايته إثارة بالنسبة إليه، لكن حينما امتدت نبرات بهاء إلى بقية العاملين فى المكتب شعر أنها دعوة بصوت عال لأن يحكى، صوت عال يكاد

يصم أذنيه، ويفقده سيطرته على أعصابه، إلا أنه تغافل عنها أيضا وبدأ فى عدم الرد أحيانا على من يكلمه متظاهرا بالانشغال بالارقام التى يراجعها، ومع إصرار المتحدث على الحديث معه يرد عليه إبراهيم باقتضاب مشيرا إلى أن بهاء يستعجله.

لم يتطرق فى كل كلامه مع سمراء إلى الصور، رغم رغبته فى أن يصف مشاعره تجاه تلك الخطوط وضيقه من أنه صار يراها جزءا أساسيا وليس شيئا تمت إضافته، وحنينه إلى اللحظة الأولى التى التقط فيها الكاميرا وراح يصور سميرة بعفوية، وأن يصف فرحتها باللعبة التى بدت له مبالغتها فى إظهارها كأنها قطف الثمار حتى قبل نضجها خوفا من أن تقع سريعا على الأرض وتذبل. لم يقل لسمراء كل هذا، وجد كل ما ستنطق به من تعليقات أو استمرارها فى الصمت تظاهرا بالبراءة وأنها لم تفعل شيئا. وحتى لو صارحته بما فعلته، لن يؤخر أو يقدم هذا فى مصالحة سميرة، لن يفيد فى محو آثار تلك الخطوط، بل سيجب عليه رغم معرفته أن يبدو غير عارفٍ مثل الجميع، وسيبذل جهداً مضاعفاً مقارنة بهم لأنه سيخفى ما يعرف ليكون مثلهم، وليشعر بما يشعرون به لا يسبقهم ولا يتأخر عنهم، وأن يكون جاداً فى نظرته لتلك الخطوط كما ينظرون إليها بالضبط.

وجد جديته التى يحاول تثبيتها داخله، فى عينيه، كالجرسون الذى اشتهر فى الفندق بقدرته على حمل عدد كبير من الأطباق، ويسير بها ووجهه مختفٍ خلفها فى ممرات المطبخ، يعبر

ما يعترض طريقه بخفة، لا يقلقه تحذير صارخ بوجود كرسي مثلا، فسرعان ما يبطئ قليلا ويلتف من حوله، مرددا أثناء مروره أسماء الأطباق المطلوبة بسرعة.

صارت "إيه الأخبار" الإشارة التى يبدأ عندها كل شيء داخله فى الهدوء، وفى سماع صوته وهو يصف ويحكى دون تسرع ودون اختصار وغالباً دون مقاطعة. صار هو المتحكم فى طول المكالمة ما إن يشعر بالاكتفاء حتى تخرج منه فى يسر «نكمّل بكره».

- ٢٥ -

- بص كويس

كان فرعون يجلس على كرسى مشغول ظهره الذهبى بكؤوس وأيدٍ صغيرة وزهور لوتس وعلا فوقه فى النهاية صقر فرد جناحيه. وفى حجر الفرعون جلس طفلٌ أوجسدُ طفل برأس رجل كبير، ومط كلاهما فمه نحو الآخر ليقبله

- كويس.

كررها كثيرًا منذ أن أشهر أحمد أمام عينيه أوراق البردى، وأبدى كل الاهتمام لمعرفة رأيه، فهذه أول مرة يلوّن هذه الرسومات المطبوعة على البردى، ويخاف ألا تعجب صاحب البازار الذى تردد طويلا قبل الموافقة على إعطائها له.

أشار له إبراهيم أن هناك خللا فى النسبة والتناسب فى بعض الرسومات.

- مش مهم أنا واخدها كده. المهم التلوين كويس؟

- وايه المشكلة مش هوه اللى محدد لك الألوان؟

- أيوه. بس إيه رأيك؟

- حلوه.

شيئان فهمهما إبراهيم من هذه الزيارة: أحمد يريد أن يؤكد له أنه أعز وأهم صديق فى حياته لدرجة أنه أول من رأى البردى بعد أن لوّنه،

والشيء الثانى أنه يبحث عن أى عمل إضافى ليستطيع إتمام الزواج، وفى حالته هذه يجب ان يغفر له إبراهيم عدم وجوده جواره فيما يمر به من ظروف صعبة. أثناء سماعه الشرح لم يتخل عن إبراهيم الإحساس بأن الحياة تضيق حينما لا يجد الإنسان عملاً مناسبًا، ويظن أنه فى حاجة إلى الاعتذار للكثيرين عن تقصيره فى حقهم، ويسعى إلى أن يظهروا له تسامحهم معه، وأنهم جواره حتى وهم فى شدة، ويظن مع ضيق الدنيا فى عينيه أن الجميع يراقبونه لكن لا يفهمون ما يعانيه ويئن تحت وطأته، يحتاج فقط إلى أن يشعر برضائهم عنه فهذا يطمئنه إلى أنهم سيظلون احتمالات لفرص عمل قد يسهلونها له ولن يكونوا عائقًا أمام الفوز بها.

شرح له أحمد أن هذا الفرعون هو إخناتون والجالس فى حجره أخوه، وهناك كثيرون يستدلون بهذه الصورة على أن علاقة مثلية كانت بين الاثنين. أعاد إبراهيم النظر فى الورقة، رسم كاريكاتير ثقيل الظل لمودة بين الأخين. أكد أحمد أن الكثيرين من السياح يطلبونها وهذه البردية: امرأة ورجل امتد عضوه، متواجهان وأطفال صغار مبتسمون يدفعون المرأة نحوه. وسحب أحمد كتابًا من حقيبته «فن الرسم عند قدماء المصريين» وفتحه على صفحة، وأعطاه لإبراهيم وهو يشير إليه إلى الجزء الذى يريده أن يقرأه «وقد آثرنا إغفال هذه الصور الثلاث فى هذا الكتاب أخذًا لجانب السلامة، ودرءًا لنقد عيون قد تكون نافذة البصر ولكنها قد تكون فى نفس الوقت معدومة البصيرة... وحتى لا يتهمنا متسرع بعدم الأمانة العلمية، فإننا نستميح الغفلاء عذرًا لإزاحة ثلاث صور من بين ما يقرب من مائة وسبعين صورة وسنكتفى فقط بذكر المعلومات والبيانات العلمية الخالصة لكل صورة من هذه الصور الثلاث»

وعادت أصابع أحمد لتشير إلى بداية فقرة أخرى ورفع ورقة البردى بين كفيه.

«تمثل رجلاً وامرأة فى وضع العناق الحار وحولهما ثلاثة من الصبية والبنات الصغار يبدو أنهم كانوا يشجعونهما على الاستمرار. وكان متحف برلين قد صنف هذا الرسم تصنيفا خاطئا تحت اسم «المتصارعَيْن»ظنا بأنهما اثنان من المتصارعين يبدآن مباراة فى المصارعة أمام بعض المشجعين. ولكن الدراسة التأنية لهذا الرسم فى ضوء مقارنته بالمناظر المماثلة التى وردت ببردية تورين الجنسية، تؤكد أن المنظر منظر عناق حاربين رجل وامرأة ومن المحتمل أن بعض الصبية الصغار قد فاجأوهما فى هذا الوضع فأخذوا يهللون ويصفقون بأيديهم. وقد تم رسم هذا المنظر بالحبر على سطح شققة من الحجر الجيرى مقاسها ١٢×١٤,٣سم». أعاد إبراهيم النظر إلى الرسم وجد طفلا واحدا تنم حركة يديه على أنه يصفق، والطفلين الآخرين يدفعان المرأة بأيدٍ صغيرة مضمومة الأصابع. لا يكشف الرسم عن أن الأطفال فاجأوهما، بل وجدهما لم يتقاربا إلا لينتزعا تصفيق وإعجاب هؤلاء المشاهدين الذين تمادوا فى التشجيع ليحصلوا على شىء أكثر إثارة.

كان ما زال رافعا ورقة البردى فى وجه إبراهيم وهو ينظر إليه منتظرا تعليقه. لم يهتم أحمد من قبل بإحضار كتاب له وكله شوق لسماع رأيه. سأله من أين أحضر الكتاب، من صاحب البازار الذى نبهه لهذه الصفحة مفتخرا باكتشافه أن الصور قد تم حذفها حريصا على أن يريه أحيانا لبعض السياح الأجانب مبينا مواضع الحذف، وحينما سأله إبراهيم عن سبب إحضاره الكتاب له، ضحك أحمد وكأنه يفكر فى أنسب إجابة أو ليدع إبراهيم يغير الموضوع

– انت شفت حاجة زى دى قبل كده؟

لم يفهم إبراهيم إن كان يتعمد بالحاجة الصور أم الكتاب لقد وجد سؤاله مثل العبارات التى يقولها بائعو البردى والتحف الفرعونية ليحثوا السائحين على الشراء ويثمنوا سعر بضاعتهم.

– تحب اديك أى واحدة منهم؟

لم يكن أحمد ينتظر إجابته، وتظاهر دقائق بالمفاضلة بين برديانه، يبعد كل واحدة منها ويقربها من عينيه، وتذكر إبراهيم نفسه حينما رفع إحدى صور سميرة وكأنه يبحث عن علامتها المائية، وقتها سرح فى الصور وقد طمرته ولا يبين من تحتها ولا ينتبه إليه أحد. أثناء عملهما معا فى الفندق، كان أحمد يأتى كل صباح تقريبا ليحكى له ما حلم به بالأمس، رغم أن إبراهيم لا يعرف فى تفسير الأحلام وإن كان يحب سماعها خاصة لو كانت تحكى كما يحكيها أحمد بدقة وتذكر لكل تفاصيل الحلم والمسارعة بذكر تفصيلة غفل عنها أثناء الحكى. لم يكن يسأل إبراهيم عن تفسير، بدا أثناء تدقيقه فى حكاية الحلم باحثا عن معنى أو راغبا – على الأقل – فى أن يسمعه لنفسه بصوت عال ليقضى على غرابته ويجعله قريبا منه. فى معظم أحلامه كانت خطيبته القاسم المشترك بينها، ولم يستطع إبراهيم تحديد إن كان هذا علامة على حب أو خوف. فى مرة تمهل فى وصف حلم جمعهما معا وكانت ترتدى كل ثيابها وإن رآها أحمد عارية، وظل يضغط على كل جزء منها وهى تطالب بزيادة الضغط حتى يخترق ملابسها التى لا تقدر على خلعها عن جسدها، وفى النهاية حينما رأيا ملابسهما مكومة أسفل السرير ظنا أنها لشخصين آخرين غادرا الغرفة دون أن يرتدياها. وكلما

قاطعه إبراهيم بالضحك شاركه أحمد ويكمل الوصف وضحكته لم تنته حتى شعر إبراهيم بأن صديقه لا يعرف إن كان لابد أن يضحك أو يكون جادا ويستمر فى الحكى ليفرغ كل ما داخله من ثقل. وكان تعليق إبراهيم على ما حكاه أنهما لابد أن يتزوجا سريعاً، فانطلق أحمد فى تكرار شكواه من قلة المال وخوفه من أن يسرّحه الفندق بعد عمله بعقد فيه ثلاث سنوات، وأعاد رجاءه وقتها أن يحاول إبراهيم إقناع الإدارة بتثبيته. الشكوى والأحلام وأضيفت إليهما أوراق البردى هى ما لا يمل أحمد الحديث عنه بالتفصيل، وبتكرار لا حد له وكأن هذه طريقته فى مواجهتها.

- خد دى.

أعطاه المشهد الجنسى الضاحك وهو يقول دون أن يسأله إبراهيم:

- ما تخافش، مش حادفع تمنها من جيبى.

- ٢٦ -

كروت عديدة لأشخاص يتذكر بعضهم جمعتها له فى صندوق صغير، وكتبت على غطائه بخط رقيق أسماء أصحابها وفق ترتيبها داخله. رسائل أخيه جمعتها له فى دوسيه بلاستيك وفى آخر جمعت مسودات الكشوف الحسابية التى لا أهمية لها.

تخيَّلَ جماعات النمل وهى تنقل إلى ثغورها بدأب فتافيت العيش وجزئيات السكر ونثائر القش.

تذكر ابتسامته المتعجلة وهو يشكرها على سرعة إحضارها شيئا ظن أنه ضاع.

جالس فى الصالة ينظر إلى أنحاء الشقة وكأنها معرض آثار سميرة، وكل شىء ينطق عن ذوقها، لم يشارك فى شىء اللهم إلا بالشراء أو إعطائها الفلوس لتشتريه.

كان كلما ثار حديثٌ عن الحب بينهما، أو فى حضور آخرين، يسرع بربطه دائما بالحقيبة التى يحملها اثنان، ويؤكد على ضرورة استمرارهما فى حملها معا حتى لو كانت فارغة. وسألته مرة عما يقصده بفارغة، هل يعنى موت الحب، فتوره، أم عدم وجوده من الأصل؟ لم يرغب فى أن يقول لها أن إضافته تلك الكلمة لمجرد تأكيده على استمرار الاثنين رغم أى ظروف، وأنه لم ينتبه فى كل المرات التى ذكر فيها هذا التشبيه أن التى

ستكون فارغة هى الحقيبة التى بدورها هى الحب نفسه، وأجاب على سؤالها بأن استمرارهما حتى لو كانت فارغة يعنى بقاء احتمال ملئها مرة ثانية. ابتسمت، وطلبت منه البحث عن كلمة أخرى.

اتجه إلى غرفة النوم، أخرج من تحت زجاج التسريحة صورة لها وهى لم تزل فى الرابعة عشر من عمرها، صورة أخرى وهى فى الجامعة. غدًا هكذا قرر سيعطيهما إلى محل تصوير ليكبرهما، وسيضعهما فى بروازين ويعلقهما على الحائط المواجه لمدخل الشقة. تراجع عن اختياره وهو يفتح كتاب الميدالية، وتنبعث منه الموسيقى التى ضعف صوتها وصارت أزيزًا سرعان ما انكتم. نظر إلى وجهها الذى انثنت أطرافه من أثر ضغطه داخل الكتاب. قرر تكبير تلك الصورة، وتذكر وجود نسخة منها فى بطاقتها القديمة. سيشترى علبًا صغيرة من القطيفة ويضع كل قطعة من قطع إكسسوارها فى علبة، ويفرغ درجا من التسريحة ليجعله فقط لتلك العلب. تلفت حوله باحثًا عن أشياء أخرى يفاجئها بها عند عودتها.

تحرك نَمْلُه ليجمع الأشياء، ورغم أنه نَمْلٌ غير مُدَرَّبٍ، يتعثر فى خطواته الأولى لكنه سعيد بأنه بدأ.

- ٢٧ -

«أمرنا نحن وكيل نيابة السيدة زينب اليوم ٢٠٠١/١١/٢٤ بتجديد حبس المتهم أسبوعين على ذمة القضية». تلقائيا امتدت يد إبراهيم ليزيد من ارتفاع صوت التليفزيون، أملاً فى أن يعيد الممثل ذكر اليوم والشهر والسنة، لا ليتأكد مما سمعه بل ليزداد تأكده. سمع التاريخ جيدا ووكيل النيابة ينطقه فى بطء وبصوت جهورى بينما ينظر إلى المتهم الواقف أمامه والذى ارتسمت على وجهه علامات الحزن.

لم يزل باقيا على عيد ميلاده شهران، وها هو يأتيه اليوم من خلال المسلسل الذى كاد إبراهيم أن ينصرف عنه إلى قناة أخرى. ظل يتابع الأحداث لعل أحدًا من الممثلين الذين يغلب عليهم الذعر والحيرة والترقب ينطق بتاريخ اليوم مرة أخرى، وكلما قال أحدهم (النهارده) ودّ لو أردفها بـ ٢٠٠١/١١/٢٤. حدث له هذا فى قسم الشرطة وهو يستلم بدل فاقد بطاقته العائلية، فلمح بطاقة الشخص الذى سبقه فى الطابور، وبدون تردد عرّفه إبراهيم أن تاريخ ميلادهما متشابهان وإن اختلفت السنة، فابتسم له الشخص وانصرف. لكن التشابه هذه المرة مع تاريخ تجديد الحبس الذى خيب أمل الوالد المنتظر خارج غرفة التحقيق والذى كان يأمل فى أن تفرج النيابة عن ابنه ولو حتى بكفالة. لم تتضح من خلال أحداث الحلقة السبب وراء القبض عليه، وإن كان الكثيرون يعتبرونه بريئا وانحاز لهم إبراهيم، ولم ينفره عن الإحساس ببراءته إلا ظهور المتهم شخصيا، فوجهه واضح أنه أكبر سنا من الدور الذى يمثله، ومحاولات المكياج صارخة فى علاجها هذا

الفرق. لم ينطق بـ (النهارده) إلا مرة واحدة وقالها خطفا أثناء تأكيده على أنه لن ينام من (النهارده) حتى تثبت براءته. مبالغة الجملة أفسدت على إبراهيم انتظاره تكرار التاريخ وإن نبهته إلى مبالغته فى الإصغاء للحوار، وزاد من مبالغته أن اليوم والشهر والسنة التى ذكرها وكيل النيابة ستحل فعليا بعد انتهاء حلقات المسلسل كلها، على عكس ما يعرفه أن ذكر التواريخ فى مثل تلك المسلسلات يكون دائما وقتا مضى لا وقتا سيأتى. وحينما سيأتى تاريخ تجديد الحبس - يوم ميلاده - ستكون الأحداث التى ستحدث بعده قد انتهت وعرفت مصائر الشخصيات وربما تم الإفراج عن المتهم.

لم يبالغ فى قسر نفسه على فهم شىء ما فى تلك الصدفة، لكنه وجدها من الصدف التى تجبر الإنسان على التوقف عندها وتلمح إليه أنها لها معنى حتى لو كان خافيا عليه إلا أنه موجود ووضوحه ربما يرتبط بصدفة أخرى تكشف عنه، ويقوى تأثيرها حينما تشير إلى عيد ميلاده القادم الذى لا يعرف إبراهيم كيف سيكون فيه سواء مع سميرة أو بهاء أو ملاك الفندق أو وعد العمل فى شرم الشيخ.

من يومين التقى بالصدفة مع مندوب الشركة الخليجية، ووجد الرجل يتذكر اسمه ورده مع كل سؤال من أسئلته عن أحواله وأحوال الفندق وأحوال المكتب، انطلق كلامه سريعا كأنه حمل ثقيل يريد التخلص منه سريعا ليمضى فى طريقه. لم تشغل الصدفة إبراهيم، بل شغلته قدرته على أن يظل عابسا لم ينطق إلا بكلمة «كويس» على غير عادته فى تلك اللقاءات التى يجد فيها ابتسامته تفترش وجهه تلقائيا، لم يكن عبوسه

وكلمته الوحيدة ضيقا من الرجل فقط بل لأنه رآه أيضا فى تكراره اسمه يماثله هو نفسه حينما يفرح بتذكر اسم شخص يقابله بعد زمن. رآه إبراهيم مرآة اضطر للنظر فيها صدفة فاختفت ابتسامته المعتادة. ظل يفكر فى اللقاء، وفى التشابه الذى منحته له تلك الصدفة، ظن أنه لن يرى الرجل مرة أخرى، ارتبط عنده بأمل ظهر فى حياته ليذكره فقط أنه رهن الوعود المرتكز عليها مستقبله، وأن هذه الفترة من حياته لا اسم لها سوى الانتظار الذى يخايله أحيانا بنهايته الوشيكة من خلال شخص أو قرار يعلنه داخله، أو جريه وراء من ظنها سميرة، أو سعيه لتكبير صورتها، لكن كل هذا لا يصمد طويلا ويعود الانتظار ليحط على حياته وكأنه يلتقط أنفاسه ليخايله من جديد بقرب انتهائه. التشابه بينه وبين الرجل جعله يرى ما ظنه شيئا خاصا به متاحا مبتذلاً وربما يفعله الآخرون أفضل منه وباقتناع أنهم ماهرون فى فعله، ولو قدر لكثير من أفعاله وجود مرآة مثل هذا الرجل لكرهها وتخلى عنها أو فعل عكسها. طول تفكيره فى صدفة ذكر عيد ميلاده واللقاء العابر بدا له أمرًا أُعِدَّ جيدا، وكمن لإبراهيم ليظهر له فى الوقت المناسب، ولوهلة رأى كل المصادفات أشياء تحسن الانتظار والفعل واختيار توقيت ظهورها.

الكفُّ المفرودة الأصابع. التقطها عن قرب شديد في غفلة من سميرة. أصابعها بدت أنيابا مع عينين في قلب الكف. الصورة الوحيدة التي شوهت بالمقلوب. وجد أن ما ينقصها قطرات دم تتساقط من الفم أو فريسة مغروزة فيها الأنياب.

كثيرا ما سرح وهو صغير في الأشكال التي كونتها كفاه على الحائط، محاولات كثيرة حتى استطاع التحكم في ثني إصبع أو إصبعين، أولف إصبع حول آخر، أو تشبيك أصابع من كفيه ومدّ الباقي فيظهر له: عسكري ببندقية، طائر بجناحين، جمل بسناميه المحدودبين، وجه إنسان بكاب طرفه ممتد بحدة، حصان رأسه إلى أعلى أو منكس ويركبه شخصٌ.

فكر بينما ينظر إلى بردية أحمد، ماذا لو ظلت هذه الكف هي الصورة الوحيدة المتبقية من حياة سميرة، وعثروا عليها في زمن آخر، ربما سيسقطون عليها معان كثيرة، ويسمونها أسماء مختلفة، ربما سيتوقفون عند حركة الأصابع ويقرأون خطوط الكف: خط الحياة، خط القلب، خط الرأس، والخطوط الصغير المتشعبة منها والمتقاطعة معها، ويحاولون التعرف على مصير من كانت تملكها، وقد يفسرون وجود العينين في قلب الكف إشارة لمحاولة من خطهما أن يفكّ أسرار تلك الخطوط.

ومهما كان ما سيعرفونه إلا أنه سيبقى مجرداً بدون تفاصيل هي التي تحجب عن الإنسان أثناء حياته مصيره المخطوط في كفه، وكأنه يعيش

ليصل إلى كفه الملازمة له طول عمره، ليقرأ في النهاية ما كان مشهراً أمام عينيه طول الوقت.

كثيرون عرفوا بالصور المرسلة إلى سميرة، لكن من رآها؟ ثلاثة. أربعة. الباقون سمعوا - فقط - الوصف، رددوا الحكاية، حتى الذين رأوا مَنْ منهم - أومنهن - رآها بدقة، وتتبع خطوطها وعدَّل منها كما فعل هو؟

فكر أنه فى المقارنة التى يستغرق فيها الآن، كمَنْ يتباهى بامتلاكه ما يميزه عن الآخرين، ما يجعله فريدا. لم يدفعه هذا إلى الشعور بالوحدة، بل إلى الشعور بضآلة ما يملكه مادام لا يستطيعه إلا وحيدًا.

- ٢٩ -

ابتسم. ها هو ينجح بعدة ضربات متتالية من الشاكوش فى تثبيت المسمار فى الحائط. لم تخب ضربة واحدة كما كان يتوقع، كلها أصابت الرأس الصغير المستدير، وضربة منها لقوتها استثارت شررًا ومض سريعا.

تذكر صور جدته وجده وعمه، حينما أصر والده على تعليقها، ورفضا هو وأخوه مجدى فى البداية أن يستيقظا من النوم فتصطدم عيونهما بكل هؤلاء الموتى، لكنهما مع إصراره وافقا على تعليقها بعد أن يتم تصغيرها فرفض وتمسك بأحجامها المكبرّة ورفض إهدار المال الذى دفع لتكبيرها، فوافقا شرط الاكتفاء بجدتهما وجدهما حتى العثور على مكان مناسب لعمهما أو تعليقه كل فترة بدلاً من إحدى الصورتين، فلم يقتنع وهمّ بأن يعلقها بنفسه لولا منع والدتهما له خوفا عليه من الوقوع، ووقف مجدى على الكرسى وإبراهيم يناوله المسامير التى انثنت أطراف معظمها من الخبطات الخاطئة، واضطر أخوه إلى التدقيق أكثر فى الخبط بعد تحذير والدهما بأن واحداً منهما سيخرج لشراء غيرها إن لم يحافظا على آخر ثلاثة مسامير، وعاود الإصرار مرة أخرى على وضع شريط أسود فى طرف كل صورة إلا أن أمهما هى التى رفضت هذه المرة وأخفتها تماما.

ظل إبراهيم يضبط وضع الصورة. ويقترب ويبتعد عنها، وكلما أوشك على الانتهاء يعود مرة أخرى إلى ضبطها، والوجود معها فترة أطول. تمنّى لو شاهدته سميرة يحمل صورتها المكبرة من محل البراويز حتى البيت، لا يتذكر أنه سار فى الشارع من قبل وهو يحمل شيئا بهذه الضخامة، دون قلق

من نظرات الناس عندما يتوقف ليلتقط أنفاسه مسندا الصورة إلى جسده فيصل ارتفاعها حتى صدره، ويبدو وهو يستند بكوعه عليها كمن يقف فى شرفة بيته سرحانا فيما يشاهده، تمنى لو رأته يطيل وقت اختياره لأحسن برواز لدرجة سؤال صاحب المحل له إن كان يريد فعلا بروزة الصورة. يثق فى مجىء لحظة سيحكى فيها عن كل هذا: عن تعبه واهتمامه وحيرته فى تحديد أنسب مكان. ولماذا يحكى؟ أليست مفاجأة وجودها على الحائط المواجه لباب الشقة، سيريحه من أى شرح، وستعرف قدرته على مفاجأتها، والانشغال بها حتى فى غيابها. ألم يبالغ فى تكبير الصورة؟ رغم شعوره بكبرها وضخامة البرواز لكنه أقنع نفسه بأن المفاجآت يجب ألا تكون متوقعة وسيزيد من وقعها اختياره صورتها التى تحبها وفكرت فى وضعها ببطاقتها المجددة ثم استقرت على صورة لها بعد الزواج.

وهو يعقد ذراعه على صدره ويتأملها. تمنى لو نجح المصوراتى فى إخفاء أثر ثقب دبوس البطاقة الواضح فى جبينها.

- ٣٠ -

ظل واقفاً وسط الصالة يتلفت حوله. كرر إبراهيم دعوته إلى الجلوس قبل أن يتجه للمطبخ لعمل الشاى، وصوت عبد لعظيم يلاحقه «مش عاوز حاجة».

ما الذى أتى به رغم قوله «حد الله بينى وبين دخول بيتك» وطبعاً اتصل بالمكتب وعرف أن إبراهيم لم يأت اليوم، قد يكون ذهب بنفسه إلى هناك، وتحدث مع سامى وأعطاه جنيهين أو ثلاثة، ثم شدّ الرحال إليه.

انتظر إبراهيم أن يعرف سبب مجيئه، لكن لا أمل حتى الآن، ربع ساعة مرت، وكل ما قاله عبد العظيم مجرد إجابات مقتضبة على أسئلة عن أحوال سميرة، ومتى ستعود، وأخبار ناهد وصحة حضرته.

تمنى لو رنّ التليفون، لينشغل قليلاً عن هذا الرجل الصامت، والذى يتفحص أنحاء الشقة وكأنه يفتش عن شىء. سيطر عليه أن نظارة عبد العظيم مغبشة ولا تحس عيناه بهذا، بل تظنان أن الرؤية هكذا تنبغى. وتريان إبراهيم مضبباً لا تبين له ملامح، لدرجة أن إبراهيم لو حرك شفتيه بشتائم متتالية دون صوت لن تلحظاه، بل قد تتضايقان من سكونه المبالغ فيه.

ليقطع الصمت الذى طال، سأله عن رأيه فى صورة سميرة التى كبرها وبروزها، وحرص أثناء سؤاله أن يظل ناظراً إليها بنظرات ملؤها الإعجاب والحب، وأن يبدو مسحورًا بوجودها ناسيا ما حوله ولم يلتفت إلى عبد العظيم حينما سعل وأسرع بتناول كوب الماء.

- وفين صورة والدك ووالدتك؟

لم يتعجل الإجابة، مستمرا فى توجيه عينيه نحو الصورة، وكأنه لم يسمع من شدة تركيزه فيها. لاحظ عدم اقتناع الرجل بأن صور والديه مع أخيه مجدى المسافر، وأنه أرسل له أكثر من خطاب ليطلب منه إرسال صورة لهما معاً حتى يعلقها جوار سميرة، وتراجعت يده سريعاً التى أشارت تلقائيا نحو صورتها بعد ما لمح عدم وجود مكان جوارها. عزم على أن يماثل عبد العظيم فى هدوئه واتزانه، ولا يصبح عنصرًا طاردًا له كما كان يفعل دائما معه وألا يراه زائدًا عن اللزوم. حطّ الصمت عليهما مرة أخرى، ولم يسمع سوى صوت ارتشاف الشاى. مباراة يخوضها هو الآن فى القدرة على تحمل اللا كلام. من قبل كان يقلق ويتوتر حينما تحلّ لحظة صمت مع ضيف يجالسه فى البيت. ويشعر بأنه مطالب بكسرها فورًا حتى لا يبدو عليه القلق والتوتر، فيندفع منه الكلام أى كلام متمنيًا أن يلتقط منه الضيف الخيط سريعًا قبل أن يلاحظ أنه يتكلم لقتل الصمت، ويشعر بالغيظ مع رؤيته الضيف يصغى له باهتمام وكأن إبراهيم تذكر أثناء هذا الصمت شيئا هامًا يود قوله. انتبه على سؤال عبد العظيم عن الكرسى الهزاز، وأشار نحو شباك الغرفة حيث كان موقعه حينما زارهما ليهنئهما بالزواج وجلس عليه طول مدة زيارته، وأن سميرة علقت على فرحته بالجلوس عليه، بأنه يشبه والدها الذى كان يحب أيضاً الجلوس عليه كلما زارهما، ومازال متذكرا ما حكاه إبراهيم من أن أخاه مجدى هو الذى اشتراه من بائع روبابيكا بأربعين جنيها وأصلح ذراعيه اللتين كانتا مكسورتين. نهض إبراهيم وأحضر الكرسى من غرفة المكتب ووضعه أمام عبد العظيم الذى سارع بالجلوس عليه وأصبح ظهره لإبراهيم، وراح يحركه ببطء فى البداية ثم تسارع الاهتزاز

حتى ظن إبراهيم أن الرجل سينقلب على وجهه كلما اندفع إلى الأمام. صاح بأن موقعه القديم أفضل لأنه كان يتيح للجالس عليه مواجهة الجالسين فى الغرفة، وسأله عن سبب تغيير مكانه، أشار إبراهيم نحو الفازة الكبيرة بزهورها الصناعية فى نفس اللحظة التى أدار فيها عبد العظيم رأسه نحوها وهو مازال يحرك الكرسى، وأعلن استياءه من موضع الفازة وأنه يفضل مكانها القديم حيث تكون أول شيء يلمحه من يدخل الشقة، والتفت نحو الصالة وأشار إلى ركن مؤكدا أن مكانها كان هناك على ترابيزة صغيرة غير هذه، والتفت نحو الشباك مشيراً إلى الترابيزة الجديدة. دائما يعجب إبراهيم بكبار السن ذوى الذاكرة القوية التى تشعره بأنه الشيء الوحيد فيهم الذى يقاوم الزمن، وتبدو له منفصلة عن أجسادهم الواهنة، ولا تترك فرصة لإثبات براعتها وقدرتها على تحدى آخرين أصغر سنا، بالطبع قد تتردد ذاكرتهم فى تذكر شيء ما، لكنها تتخلى عن التردد ما إن تجد الآخر المستمع متردداً أيضاً، فتؤكد ما تتذكره بل وقد تبالغ فى ذكر تفاصيل أخرى أدق لتعلن عن المزيد من قوتها.

تذكر إبراهيم أنه التقط صورة لسميرة وقد نامت على هذا الكرسى، وشد انتباهه أنها كانت رغم نومها مستمرة فى تحريكه وإن بطؤ الاهتزاز قليلا، وظل واقفا أمامها بعد التقاطه الصورة منتظرًا توقف حركة الكرسى لكنها استمرت، ورأى ساقيها مستيقظتين بينما نام باقى الجسد، وظن حينما قبَّلها أنها ستنتبه لكنها أدارت رأسها ناحيته فقط وهى نائمة، ورأى ملامحها ساكنة ومطمئنة وافتر ثغرها عن ابتسامة رقيقة. أضافت الخطوط بعد ذلك شعرات مشعثة وكأنها لوجه آخر مستيقظ، ومتوار بإحكام خلف وجه سميرة النائم.

رفع عبد العظيم يديه إلى أعلى. أسرع إبراهيم وساعده على النهوض.

- نفسى فى كرسى زى ده.

- حاجيبلك واحد.

- منين؟

- فى محلات كتيرة.

- يا ريت، ولو كانت قاعدته طويلة زى سرير صغير يبقى أحسن.

وقبل أن يخرج، نظر إلى صورة سميرة وحرّك يده علامة على كبرها.

- عاملة زى ما تكون باب تانى.

- ٣١ -

معظم أجزائها مطموسة، لكن ليس لحد أن تصير كتلة سوداء، ظل ما يدل على وجود جسم واقف على ساق واحدة بينما الأخرى مرتفعة فى الهواء وتشكلان معا زواية منفرجة أبانت عن جزء من الشباك المفتوح.

ذكره بهذه الصورة الدخان المتصاعد من سيجارة منّ رسى عليه مزاد العربات. ذهب معه إبراهيم ليسلمها له ويحصى فى نفس الوقت عدد التليفزيونات الصالحة للتشغيل.

نفثات الدخان المتحلقة فوق رأس الرجل لا تلبث أن تنحل كثافتها إلى وجوه. وجوه فقط. كل منها تتبعه رقبة نحيلة هى أول ما يتلاشى، بينما الوجه يتمهل فى تمدده حتى يختفى تماما. تأخر إبراهيم خطوات عن الرجل، ليراقب ما يراه أو لأنه غير مصدق أن كل ما ينفثه يصير له نفس الشكل. حاول أن يجهد عينيه لترى شيئا مختلفا، لكن الدخان بدا له يتسرب إلى قوالب غير مرئية مع اختلافها إلا أنها كلها فى النهاية تبين عن وجوه، قد تتفتح فى واحد منها عين بينما طمست بقية الملامح، وفى آخر لا يظهر سوى انفراجه شفتين تهمان بالحديث، وفى ثالث استدارة وجه مطموس تتبدى ملامحه سريعا أثناء امتداده الوشيك على التلاشى.

ودّ لو ثبتت كلها فى الهواء ليقدر على عدّها، والتأكد من عدم وجود تشابه بينها. أبعد عن ذهنه أنها خرجت تودّع المكان، وجده خاطراً لم تألفه نفسه من قبل، ويحيل كثرتها المتزايدة إلى مجرد طابور طويل من

المودعين أغلبهم يتجهون نحوه. بالإضافة إلى أنه لم يرفى أى وجه منها علامات حزن وحسرة، فخروجها مطموسة يخفى كل مشاعرها وما ترغب فى أن تومئ به.

كانت صورتها بروب الحمام المفتوح الوحيدة التى يبدو فيها جسد آخر نابعاً من جسدها. حلمتا الثديين صارتا عينين خط فوقهما حاجبان، والصرة فم مزموم، وحُددت نهاية البطن ذقنا ممتلئة، وبدت الساقان تتصلان بالوجه الكبير مباشرة.

جسدان رُكبا على بعضهما، وتداخلا بحيث لا يستطيع إبراهيم أن يركز بصره فى أحدهما منفردا، وإذا نظر إلى وجه سميرة سرعان ما يجذبه الوجه الجديد الذى يسلمه إلى الساقين الخاليتين من الخطوط لكنهما موزعتان بين الجسدين وتحملانهما معا. ما ظنه موقع عمله إلى آخر حياته، انقلب على وجهه الآخر: نزعت أبواب الغرف، تقشر طلاء الحوائط من أثر خلع الأرفف ونقل الدواليب والمكاتب، استبدل عمال الهوم سرفيس الحنفيات المصقولة اللامعة بحنفيات رخيصة، وعمال الكهرباء استبدلوا قطع غيار تليفزيونات الغرف بقطع أرخص. كل هذا حدث سريعا فى لمح البصر وكأن الوجه الآخر كان موجودا منذ زمن وراسخ فى كل جزء من الفندق ولم يحدث سوى إزاحة الستار عنه. حزنه على كل ما حدث لم يكن سوى ارتباكه أمام فقدان ما ظنه وجها وحيدا أو دائما رغم علمه – دائما أيضا – أن هذا مستحيل. حتى الكاميرا التى تعامل معها على أنها آله صار يرى شراءها من البداية بذرة نمت داخل الدولاب التى كمنت فيه فى انتظار أن يقطفها أو يطلقها، كره أن تنتهى السيجارة الآن. حدق فى العقب المقذوف بعيداً ورأسه مازال متوهجاً.

كلما فتح باب شقته، توقع أن الماء سيغمر حذاءه، ويعد نفسه لدفعه من جديد، يرتاح حينما لا يجد شيئا،وإن كان يثق فى أنه سيندفع إلى الصالة مرة أخرى وقد يتسلل إلى الغرف كلها. يخشى حدوث هذا حينما تقرر سميرة العودة ويكون الماء أول ما يستقبلها عند دخولها. يظن أحيانا أن استقبالا هكذا خير ما يعيدها إلى طبيعة الحياة فى هذا المكان، فستنهمك فى إزاحته ونشر السجادة المبتلة على سور السلم، وستشعر بكم الفوضى الذى حدث بعد رحيلها، وربما تشفق على إبراهيم الذى واجه كل هذا وتحمله. يتمنى أن يكون موجودًا عند عودتها، ويشتركا سويا فى دفعه وتجفيف الأرضية. لا يصمد معه هذا المشهد طويلا، فهو ضعيف الاحتمال مع حرصه على أن يتأكد من إغلاق الحنفيات جيدا قبل خروجه.

أطال اليوم فترة غسيل وجهه، وراح يضربه بما يتجمع بين كفيه من الماء وكأنه يريد أن يدفعه هذه المرة إلى داخله. لازمته رؤية الصور الأصلية والمشوهة تطفو على الماء الذى أغرق الشقة، وسميرة تدفعهما معا بقوة وهو يساعدها مترددا لا يعرف هل ينتشل الصور الخالية من الخطوط أم يتركها، تسارعت ضربات وجهه بالماء وهو يحث نفسه على حسم الموقف وظلت الصور الطافية تهتز أمام عينيه وكأنها يتم تحميضها وعلى وشك أن تبين ملامحها، وظلت سميرة تدفعها ولم تتوقف إلا بعد أن كف عن غسيل وجهه، ونظر فى مرآة الحوض ليجد النور مطفأ. ظل واقفا فى الظلام، وانتابه خاطر أن سميرة قد تصر على الطلاق. لم يفكر فى هذا الأمر من قبل،

لكن التفكير فى هذا الاحتمال تملكه على هدى من الاضاءة التى تصله من الصالة وجعلت وجهه يبدو شبحا فى المرآة، وارتبط عنده الطلاق بنسيانه أن يضئ النور، برغبته فى أن يظل واقفا فى الظلام، وشعر أن دوام حرصه على التأكد من إغلاق الحنفيات وعدم نسيانه إضاءة النور سيمهدان الطريق إلى انتظام أمور حياته.

تذكر حكاية الخطاب العاطفى فى مدرسته الثانوية، ويد صديقه تلتقط سيجارته وتقذف بها فى خفة وسرعة، وحاول أن يتذكر هل أعاد غريمه الخطاب إلى الحقيبة أم ظل محتفظا به ورفض إعادته إليه؟

استعاد هذه الذكرى مع سمراء فى المكالمة الليلية، وفى أثناء بحثه عن إجابة لسؤاله تذكر أن كل كلمات الخطاب كانت منتقاة من كتاب لرسائل الحب، وأنه فى تلك الفترة لم يكتب خطابا واحدا معتمدا فيه على نفسه، وبراعته كانت فى قص ولزق عبارات منقولة من الكتب، وغالبا ماكنّ من يعطيها إليهن يمررن عليها سريعا ولا يتذكر أن واحدة منهن رددت على مسمعه عبارة منها، واكتفين بالإشارة إليها بمجرد «كلام حلو» التى يجدها الآن تواطؤاً معه على إخفاء معرفة أنه لم يكتب أية خطاب.

رأى سميرة وهى تشاركه السير فى الشقة وتتأخر لتفسح له المكان ليتقدم ولا يتوقف، واقترن كل هذا خطفا برؤيته تلك الصور تتقدمه ويتبعها، يتأخر عنها لتظل تسبقه وتحدد له اتجاه السير والتفكير، حتى وهو يعدل ويضيف ويتخيل صورا غيرها، فما زالت هى بخطوطها ما تومئ إليه، والبداية التى ينطلق منها، بينما سميرة الأصل اختصر أمرها فى أنها ستعود حتما يوما ما. لم يجعل زوجته هى التى تسبقه ويحاول فهم اتجاه

حركتها، غضبها، مغادرتها المكان، بل انشغل بصورها المرسلة إليها، الى، وتتبع اتجاهاتها. بدا السير يمضي على هذا المنوال: الصور ثم هو ثم سميرة، وكثيرا ما ينسى الأخيرة وكأنه يريد مصالحة الأولى وإرضاءها والحفاظ عليها. ترتيب يماثل: وعد ملاّك الفندق واحتمال عمله مع بهاء والوعد بعمله في شرم الشيخ ثم هو ثم التأكد من كل هذا أو البحث عن فرصة حقيقية للعمل، وينسى الأخير أيضا ولا يعلم هل يهمله ظنا أنه سيتبعه دائما أم لأنه يظن أن الأول مادام الأول في ترتيبه فهو أولى بالمضي خلفه.

سار ناظرا باهتمام لمن خلفه. سار ونظره يتراوح بين متابعة من يسبقه ومن وراءه، سار للخلف بظهره لعل من وراءه يسبقه، سار بسرعة للأمام ليسبق الاثنين ويقدر على رؤيتهما معا بينما يتقدم بظهره.

شعر أن تخيله تلك الحركات المتضادة أرهقه أكثر من لو فعلها في الشقة التي قد تضيق عنها.

- ٣٣ -

تـأكد مـن أنهـا لـن تلتقط أية إشارات للملل فى صوته، أو أنها مصرّة على مواصلة المكالمة «المهمة لأحمد ولى» وكره تكرارها الكلام عن ذهابهما معا لسميرة، ومحاولاتهما تخفيف غضبها.

- لسه ما اعرفش ان كنت حاشتغل فى شرم الشيخ ولا لأ.
- احنا عرفنا خلاص. الموضوع شبه منتهى.
- معقول عبد العظيم يعرف أحسن منى.
- احتمال تكون محرج.
- ليه؟
- بتفكر فى حد تانى بدل أحمد.
- أنا مش فى إيدى أشغل حد فى مكتب بهاء.
- هوه قال أول ما تستلم شغلك فى شرم، حيشغل أحمد.
- طبعا عبد العظيم هوه اللى قاللكو بهاء قال كده.
- ربنا يقدر الناس على فعل الخير.

أظهـر نفـاد صـبره، وأكـد لهـا أنـه لـن يجد أفضل من صديقه ليعمل مكانـه، شـكرته وأعـادت مـرة أخرى باختصار غير مخل شرح أحوال أحمد الـذى لا يقـدر عـلى تسـديد الأقساط من راتبه فى البازار، وأن معظم مرتبها شـاركت بـه فى جمعية ستنتهى بعد سنتين. «عارف. عارف» كررها ووضع السماعة.

لـو هلـة رأى بهـاء يمـنح عبد العظيم إحساسا بأنه لـه حظوة عنده، ويوهمـه باسـتجابته لما يطلـبه مـنه عـلى أمـل أن يحكى لـه ويضيف أجزاء أخـرى للنكـتة الـتى يسـتمتع بهـا، وفـى نفس الوقت يتأكد عبد العظيم من قدرته وقوته على أن يكون مؤثرًا، وأحمد وخطيبته لا يريان سوى طاقة أمل فتحت لهما ويغفلان عن فهم ما يدور حولهما، ورأى نفسه بانتظاره حدوث شـىء مَـنْ يعطـى لـلجمع مـبرر الاسـتمرار فى حبك قصته وتفريعها وإضافة تفصيلات جديدة.

- ٣٤ -

لم يستطع بالضبط تحديد القاعدة التى يسير وفقها ضياع عدد من خطاباته لأخيه مجدى، فمرة يضيع خطاب من ثلاثة، وأخرى من اثنين، ومرة ينتظم وصول أربعة ثم يضيع الخامس. واعتاد على نفى أخيه وصول الخطاب الذى أشار إليه إبراهيم فى الآخر الذى وصل، لدرجة أنه كرر شكه فى أن تكون الخطابات الضائعة قد أرسلت فعلا، فيرد عليه مؤكدًا إرساله لها وملخصا ما كان فيها والذى لا يخرج عن إنجاز ما طلبه أخوه: استخراج أوراق، دفع تأمين، الاطمئنان على شقته ووضع قفل ثانٍ على الباب، تسليمه خطابات هامة لأصدقائه يدًا بيد.

وكانت (C.V.) الخاصة بإبراهيم ضحية إحدى الخطابات الضائعة، فأرسلها مرة ثانية واطمأن على وصولها، لكن أخاه طلب إرسال نسخة ثالثة لأنه هو الذى أضاعها هذه المرة.

خطاب مجدى الذى وصله اليوم، مقتضب جدًا ويطلب منه إفهامه ما يحدث، ويلومه على عدم إخباره به قبل أن يعرف من الغريب، وأرفق بخطابه ما أرسله عبد العظيم إليه.

ست مرات تكررت فيها «ابنى الغالى» فى خطاب من صفحتين، فى الصفحة الأولى انشغل عبد العظيم بالدعاء لمجدى أن يوفقه الله فى غربته ويعينه على تحملها، فهو أدرى الناس بصعوبتها سواء على المغترب أو أهله لاغتراب ابنه الذى يتمنى عودته فى أقرب وقت. وفى الصفحة الثانية

نافست «ابنى الغالى» فى تكرار ذكرها، عبارة «أخجل من وصفها» بين قوسين، أما اسم ابراهيم فلم يرد ذكره واكتفى بوصفه «أخوك الصغير».

لم يطلب منه عبد العظيم شيئا محددًا «اكتب لك لتكون على بينة بما يحدث، وحتى لا يلومنى أحد على تقصيرى إن لم أخبرك» وختم الخطاب بوالدك عبد العظيم.

أعاد قراءة الصفحتين بحثاً عن ذكر للصور. لم يجدها ولا مرة. فقط عبارات من نوع «لم يراع أخوك الصغير حرمة بيته- وبيت والديك الكريمين يرحمهما الله- وفعل أشياء أخجل من وصفها لك».

ولم يفهم هل يقصد بالأشياء تصويره سميرة أم إشارة إلى سماحه لآخرين بالعبث بالصور وإرسالها لزوجته أم كلا الأمرين؟

غموض كلمة أشياء، ذكره بلعبة التليفون التى شارك فيها كثيراً، وتقوى باشتراك لاعبين كثيرين. يهمس اللاعب الأول بكلمة أو جملة للثانى الذى يقول غيرها أو عكسها للثالث وهكذا حتى اللاعب الأخير الذى ينطق بأخر ما وصل إليه، ويفعل مثله اللاعب الأول، وكلما اشتد الاختلاف بين ما يقوله الاثنان تزداد الضحكات قوة، وإن كان الضحك ليس الهدف الوحيد، فقد يصل الفارق بين البداية والنهاية حد عدم وجود أية علاقة بينهما، لكن مدّ الخيوط بين الاثنين يكون مثيراً ومولداً لأشياء لا تخطر على البال. ومع توفر لاعبين لهم خبرة مشتركة باللعبة وتجمعهم صداقة قوية، تصير الكلمات أو الجمل التى تقال متجاوزة الحرج والتردد، ويدفع كل لاعب بما يهمس به الآخر إلى تجاوز ما سمعه والخروج عن كل الحدود

المتوقعة، خاصة لو زادت سرعة اللعبة فلن يجد أحدٌ الوقت ليراجع نفسه أو يخفف من حدة وقسوة ما سيهمس به.

لن يبعث بأى خطاب. ما ضاع من خطابات من قبل سيدفع أخوه إلى كتابة خطاب آخر، ينبه فيه إبراهيم إلى أن ردّه – كالعادة – لم يصل، وعليه إعادة كتابته وبعثه من جديد.

- ٣٥ -

- وقالت لى العنوان معاك

- طبعا.

- مش ده العرض اللى عرضوه عليك أصحاب بهاء؟

- آه.

لا يستطيع الادعاء بأن هذه «الآه» وليدة مفاجأة اتصال ناهد وإخباره بأن سكرتيرة قرية سياحية بشرم الشيخ اتصلت بهم لتخبرهم أنها تبحث عنه ولا تجده سواء فى بيته أو فى العمل، وضرورة أن يأتى غدا للانترفيو الساعة الحادية عشرة. لم يفاجأ بكل هذا، تأكد من البداية أن من اتصلت هى سمراء، وهو أكمل خطوتها بيسر وكأنهما اتفقا سويا على هذا، فهم مباشرة مرادها: أن يلح على التحدث إلى سميرة بحجة أنه لن يقدر على مغادرة القاهرة إلا بعد الاطمئنان على زواجهما وبعد عودتها إلى عشهما، ومن غير هذا لن يسافر، سيفرط فى كل شىء، أى شىء، فما قيمة أى شىء دون أن يكون حاضرا فى حياته أهم شىء. لم يقل كل هذا لناهد لكن وجد نفسه مهيأ لقوله لو كانت سميرة كلمته. سيكلمها غدا من الشارع، قائلا أنه خارج حالا من الانترفيو ، وأن الأمر متوقف عليها، فلن يوافق على عرض العمل إلا إذا سامحته ورضيت عنه وغفرت له ونسيت حكاية الصور، ولكن إذا عرفت بأنه ليس عرض أصدقاء بهاء، وأنه كذب حينما قال «آه». سيصوب الخطأ، فلقد ظن أنه نفس العرض فى غمرة حيرته وهو يسمع ناهد، وربما سيحتاج لاتصال آخر من سمراء لتبلغهم باسم قرية أخرى وموعد جديد. وإذا عادت سميرة، وتأخر سفره يستطيع الاستغراق فى شرح

كيف انتصر رأى أحد أعضاء مجلس الإدارة الرافض له والمتخوف من توظيف مَنْ كان يعمل فى فندق تمت تصفيته بل وشارك فى تصفيته وربما أثناء كل ذلك يصدق وعد أصدقاء بهاء ويسافر. شعر وهو يرتب الدنيا هكذا بقلق من السهولة التى يتصور بها سيناريو ما سيحدث، وتذكر اكتشاف سميرة له وهو يحلق ذقنه فى الظلام.

ضايقه حدوث ما توقعه. كان يريد أن يخيب ظنه. ولم يجد سوى «صح» ليؤكد لسمراء ما توقعته فى رده على ناهد وفى كل ما يفكر فى أن يفعله بعد ذلك، وتخللت كلامها ضحكات الاطمئنان على أنه فهمها وفعل ما تخيلته.

سمع دوى شىء يقع فى البلكونه. أضاء النور. وجد أصيص زرع، تفتت فخاره وطينه على الأرضية. نظر إلى أعلى. لا أحد.قبل أن يعود إلى التليفون. توقف منتظراً سماع حركة قطة تقفز من البلكونه العلوية إلى السطح المجاور لها.

لا يفهم كيف وقع الأصيص بأكمله عنده. الطبيعى أن يسقط مصطدما بحافة السور ليستقر فى الشارع، وبالكثير قد يتخلف لديه جزء من الفخار. بدا له انحراف سقوطه نحو البلكونه وكأن أحداً واقفا فى الهواء دفعه إلى الداخل. اقترب من حبال الغسيل، وتخيل أن الأصيص سقط عليها فارتد إلى الداخل. لا تسمح المسافة التى تفصل بين البلكونتين إلى أن يكون السقوط بقوة تدفع الحبال إلى رده. لاحظ قطعة طين كهرم صغير انطبقت قاعدته المتعرجة مع جزء من الأصيص متعرج الحواف، حتى بان الاثنان كأنهما اقتطعا بدقة ومهارة. الأجزاء المتناثرة اتخذت أشكالاً مختلفة، يصعب معها تصور أنها كانت منتظمة فى أصيص واحد، لاشىء يدل على أنه كان موجودا سوى دوى وقوعه أو صَرْفِ أيام، شهور فى لصق أجزائه، وفى النهاية سيبدو أيضاً مشرَّخا، مذكرا بتناثره أكثر من صلابته القديمة.

لمح بذورا بيضاء مستديرة تبدو كأقراص دواء فى قطع الطين الرطب.
لا يعرف نوعها، وإن كان واثقا أنها أكبر بذور رآها فى حياته.

لم يكن فى حاجة ليشرح لسمراء سبب تركه السماعة فجأة. اعتادت على هذا، كما اعتاد هو على أن يعود ليجدها انطلقت لفعل شىء أثناء غيابه.

فتح عبد العظيم الباب. اندفع إبراهيم إلى الداخل، منادياً سميرة بصوت عال، مظهراً كل الفرحة على وجهه، خرجت له ناهد "فى إيه" ومن الخلف عبد العظيم "وطى حسك" انطلق صوب غرفتها. فتح الباب فى نفس اللحظة التى كانت تفتحه فيها، صاح بكل ما لديه حاشتغل فى شرم الشيخ.

وعانقها بقوة خفف منها قليلاً تذكره تألمها من هذه القوة. لم يكن فى اندفاعه وصوته العالى يتقمص صفات ليست له فقط بل كان يرى جزءاً كبيراً مما يفعله حقيقياً، كأنه بالفعل ذهب إلى الانترفيو وتم الاتفاق على عمله فى شرم الشيخ، ولا ينقص سوى أن تسامحه لينتظم كل شىء. لم يهتم بأن كلامه وحركته المستمرة فى الشقة وتربيته على كتفى عبد العظيم كلما قال له "وطى حسك"، لم يهتم بأن كل هذا غريب عليه، وربما يزيد عما يحتاجه الموقف، ورأى كل ما يفعله يحرك جموداً أحس به بمجرد دخوله هذه الشقة، يحرك شخصيات التزمت مواقعها ولا تريد مغادرتها، يحرك نفسه فى اتجاه جديد بعد طول دورانه حول ما يمكن فعله. تملكه إحساس بأنه لو قلل من حدة هجومه وتقمصه لهذا الدور سينكشف تماماً، ستفضحه نبرات صوته، سيتراجع إلى الوراء، سينفتح ما لا يريد أن يخوض فيه من تفاصيل يحجبها الآن بفورانه المتصاعد. كانت محاولتهم لتهدئته تعنى له سلبه من قوته التى ستتبدد لو انفتح أى حوار، كان هدوؤه يعنى معاودة الصور للظهور وضربها سياجاً حوله لا يستطيع أن يتجاوزه. كان يقلقه بالطبع كيف يوقف نفسه، كيف سيضع حدًا لتقمصه، كل ما راهن عليه أن

يوقفوه ثم بكلمة تحقق ما يريده. بأن تنطق سميرة بما يدل على تغيّر موقفها، خاف أن يظلوا فقط يهدئونه، ويحاولون إيقاف هجومه، وكان يستبشر خيراً كلما همّت سميرة بنطق كلمة فيخفف من حدة صوته الذى سرعان ما يحتد مرة أخرى حينما يجدها تقول "بَراحة"، وما إن قالت "خلاص" جلس على الكرسى وهو ينظر إليها مكرراً "ياللابينا" وحينما لمح استعدادهم للجلوس انتفض مرة أخرى مكرراً عدم استطاعته الالتحاق بأى عمل إلا إذا عادت معه سميرة التى كررت "خلاص، خلاص" وشعر بالضيق من تلك الكلمة التى صار لا يفهم إن كانت تعنى موافقتها على العودة أم أمراً له بان يتوقف عما يفعله، وصوب كل نظراته نحو ناهد التى نمّ وجهها عن ابتسامه لم يستطع تحديد معناها وكرر نحوها كلامه مرة أخرى، وصرخت سميرة:

- مش حارجع النهاردة.

- خلاص، بكرة، بكرة.

واندفع- كما دخل- خارجاً، دون أن يسلم على أحد، وكاد وجهه أن ينكفئ على درجات السلم.

انتبه إلى أنه يسير بسرعة شديدة وكأنه مازال يندفع نازلاً السلم. تباطأت خطواته. ومسح العرق عن جبينه، وتمنى لو استرخى الآن على الكرسى الهزاز.

لم يتوقف أمام واجهة محل لشيء جذب نظره، بل ليركز تفكيره فى حساب عدد الشبابيك التى كانت موجودة فى الشقتين قبل أن يعيد والده الشقة الأصغر لأبناء صاحب البيت. عشرة شبابيك، ستة منها فى الصغيرة التى كانت أمه تحبها وتراها مريحة عن الأخرى. لم تفهم سميرة السر وراء عدم فتح صاحب البيت شبابيك أكثر فى الشقة الكبيرة رغم وجود أماكن فى الحوائط تسمح بذلك، ولم يقتنع هو بفكرة الحديث معهم عن إمكانية فتح شباكين على الأقل، لثقته فى أنهم سيطالبونه بزيادة الإيجار.

كانا مع ارتفاع حرارة الشقة فى الصيف يشيران أحياناً إلى مواضع ثلاثة شبابيك يمكن بفتحها أن تلطف الجو. مكان صورة سميرة يسمح بوجود شباك يطل على المنور مثل واحد يوجد فى الشقة الأخرى وأسفله كانت كنبة اعتاد والده النوم عليها طول شهور الصيف.

وجد أنه يفتقد تسعة شبابيك ستة فى الصغيرة وثلاثة لم تفتح بعد، وعدد ما كان يمكن أن يكون لديه ثلاثة عشر، وممكن خمسة عشر لو فتح اثنان آخران فى الشقة الصغيرة.

أن يمتلك كل هذا العدد شيء كان ممكنا وسهل التنفيذ، ولم يكن

سيخل بأى شىء سواء فى شكل الشقتين أو أساس العمارة. شعر بالخمسة عشر شباكاً نسمات هواء ترطب وجهه وتجفف عرقه، ووجد أن استحالة وجود هذا الرقم فى الشقة التى يسكنها وسميرة أشبه بحلم يستيقظ منه وهو مازال يشعر أنه مازال فيه.

- ٣٩ -

بكل قوته دفع إبراهيم باب الشقة. بدت انفراجة دقيقة، استطاع من خلالها فهم أن الصور ملأت الشقة ووصلت إلى السقف وتمنعه من الدخول.

تحرك عدد منها إلى الفراغ الذى ينظر منه، وكادت أن تتسرب إلى الخارج. أغلق الباب، واستدار نحو السلم متوقعا نزول أو صعود أحد.

المفتاح فى يده مثل عدمه. تذكّر نفسه وهو صغير. والده يحمله ليدخل ذراعه النحيلة بين قضبان الشراعة بعد كسر الزجاج، وتتسارع دقات قلبه فرحا بعد سماعه تكة اللسان وهو ينسحب إلى الوراء. لا أحد الآن يستطيع مساعدته فى فتح الباب ولا حتى أن ينصحه بأى حلٍ.

اندفع مرة أخرى بكل جسده. اتسعت قليلا الانفراجة، وتسربت صور إلى الخارج.

سمع صوت قدمين تصعدان. جمعها سريعاً ودسها فى الداخل، وما خرج منها مرة ثانية كوره فى جيب بنطلونه وأغلق الباب.

استعد لملاقاة الصاعد. كان طفلا ابن الجارة التى تسكن الشقة التى تعلوه.

- ازيك يا حبيبى؟

- أهلا يا عمو.

تلاقت نظراتهما أو ثبّت هو عينيه فى عينى الطفل المندهش.

لا يتذكر أنه سلم على أى طفل فى البيت، بالكثير كان يومىء برأسه حينما يحييه واحد منهم.

وقف الطفل أمامه ينظر إلى انبعاج جيبه وتحركت كف إبراهيم لتسويه بضربات خفيفة.

- عايز حاجة يا عمو؟

- لأ. سلامتك.

أكمل صعوده وهو ينظر إليه من الخلف وتظاهر إبراهيم بأنه يبحث عن ميدالية المفاتيح التى فى يده.

اختفى جسده، وأطل عليه برأسه من سور السلم.

- عايز حاجة ياحبيبى؟

- لأ. أنا طالع.

تظاهر بأن المفتاح معصلج فى الباب. ضغط الجرس، أتاه صوته من الداخل مكتوما لا يكاد يسمع.

- مفيش حد جوه.

- اطلع انت.

صعد درجتين. وأطل مرة أخرى عليه. وضع الميدالية فى جيبه ونزل مسرعا. رفع رأسه كان مازال ينظر إليه.

- ٤٠ -

شعر وهو يخرج من باب العمارة بأنه يهرب من الطفل وملاحقته له بعينيه المستطلعتين، والذى جعل من إبراهيم لعبة عابرة يتسلى بها أثناء صعوده. لا يعرف إلى أين سيذهب. لا أحد يستطيع الذهاب إليه. ربما كل ما يحتاجه الغياب ساعة، ساعتين ثم يعود إلى الوقوف أمام شقته ويحاول فتحه مرة أخرى، دفعه بقوة أكثر ممنياً نفسه بعدم وجود متطفل يزعجه بنظراته.

شغله التفكير فى أنه كلما اشتدت اندفاعته نحو الباب، زادت كمية الصور التى ستتسلل خارجة، ولن يستطيع مع نزول أو صعود أحد أن يجمعها كلها بسرعة، وربما وجدَ يدٌ تمتد لتساعده فى جمعها ودفعها داخل الشقة.

نظر إلى أعلى، نحو البلكونة. أشياء كان يقدر على فعلها فى يسر وفى أى وقت، الآن لا يستطيع حتى تخيل كيف سيصل إليها: وضع كنكة القهوة على عين البوتاجاز الصغيرة، سيره فى الشقة، خلع ملابسه ورميها على السرير.

كل هذا محجوب عنه بالصور التى لا يعرف كيف تكاثرت بعدما ألقى بها قبل خروجه على الرف العلوى للدولاب.

صعب ألا يجد أحدا يحكى له ما حدث، وحتى إذا وجده فسينظر

إليه على أنه يحاول إطالة حكاية أو شكت على الانتهاء، وقد يردد على سمعه قائمة بما يجب فعله واثقا من حاجته لمن يذكره بها. وهل نسى إبراهيم يوما شيئا فى تلك القائمة، أم أنه كان يضيف إليها دائما، ويرى فى نفس الوقت أن القائمة مع كثرة ما فيها ستجبر نفسها على الحدوث؟

بكفه ضرب جيبه ضربات خفيفة ليخفى انبعاج الصور. زادت ضرباته قوة حتى ظن أنه يستحث نفسه على السير.

لم يستو الجيب تماما، استمر ضربه وهو يسرع بينما طرف صورة بدأ فى الخروج كمتلصصٍ لا يريد أن ينتبه إليه إبراهيم.

صدر للكاتب

١- نسيج الأسماء	قصص	دار الغد	١٩٨٩
٢- السرائر	قصص	دار شرقيات	١٩٩٣
٣- تصريح بالغياب	رواية	دار شرقيات	١٩٩٦
٤- شخص غير مقصود	قصص	قصور الثقافة	١٩٩٩

دار شرقيات
للنشر والتوزيع

أحدث الإصدارات

الرجل الأول/ ألبير كامو: ت:د. كيتي سالم

ولادة الأشباح/ ماري داريوسيك : ت:د. كيتي سالم

رحلة في آخر الليل/ لوي فرديناند سيلين : ت: أحمد على بدوى

مارجريت/ برنار نويل : ت: راوية صادق : م: رفعت سلام

على ضفاف خليج السرت/ *جوليان جراك : ت:د. كيتي سالم*

مدخل إلى الشعر الشفاهي/ *بول زومتور : ت:د. وليد الخشاب*

السجينة: الجزء الخامس من البحث عن الزمن المفقود / بروست : ت: إلياس بديوى

نداء الحقيقة: مع ثلاثة نصوص عن الحقيقة لهيدجر / ت: أ.د. عبد الغفار مكاوى

قصيدة نثر (جزءان) / سوزان برنار : ت: راوية صادق : م: رفعت سلام

الشعرية البنيوية / جوناثان كلر : ت: السيد إمام

مجتمع الاستعراض مع التعليقات / جي ديبور: ت: أحمد حسان

زواج الجنة والجحيم/ وليم بليك : ت: د. حسن حلمى

هوية مصر بين العرب والإسلام / جانكوفسكي وجارشوني : ت: بدر الرفاعى

فن الرواية / ميلان كونديرا : ت: أحمد عمرو شاهين

تكوين الانفعالات / جان دوفينيو : ت: د. إلهام غالى

فلسفة العصر الوسيط/ الآن دى ليبرا : أ.د. مصطفى ماهر

معجم المصطلحات الأدبية / إبراهيم فتحى

بطء المستقبل/ باتريك لابار